

يوسف العاصى الطويل
الصليبيون الجدد
الحملة الثامنة
دراسة فى أسباب
التحيز الأمريكى والبريطانى لإسرائيل
الناشر
مكتبة مدبولى

الصليبيون الجدد

الـــكـــتــــاب : الصليبيون الجدد

تـــألـــيـــف : يوسف العاصي الطويل

الـطـبـعـــة : الأولى ١٩٩٧

الـــنـــاشـــر : مكتبة مدبولي ـ ٦ ميدان طلعت حرب القاهرة

ت: ٥٧٥٦٤٢١ ـ تليفاكس: ٥٧٥٢٨٥٤

رقـــم الإيـــداع : ٩٧/٩٠٨٩

الـتـرقـيـم الـدولـي : ISBN

977 - 208 - 216 -0

الجمع التصويرى دار جهاد ٢٦ ش اسماعيل أباظة – لاظوغلى

والتنسيق الداخلى : ت: ٣٥٦٤٧٨٣

يوسف العاصى الطويل

الصليبيون الجدد

الحملة الثامنة

دراسة فى أسباب
التحيز الأمريكى والبريطانى لإسرائيل

الناشر
مكتبة مدبولى
١٩٩٧

محتويات الكتاب

الفصل الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ④ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ⑤ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ⑥ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ⑦ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ⑧﴾

صدق الله العظيم

[سورة الإسراء من ٤ ـ ٨]

إهداء

* إلى الأقصى السجين، والقدس المغتصبة.

* إلى كل مسلم ليعرف مسئوليته التى سيحاسب عليها يوم لا ينفع مال ولابنون

* إلى الشهداء والجرحى الذين رووا بدمائهم أرض فلسطين الحبيبة.

* إلى جيل الحجارة الذى أعاد الكرامة وبعث الأمل.

* إلى كل الأسرى والمعتقلين والمبعدين.

* إلى والدى ووالدتى اللذين ثبتا دعائم الحق والخير والوفاء فى نفسى.

* إلى أخوىّ فتحى وسامى.. وفاء وحباً لهما.

* إلى زوجتى التى صبرت ومنحتنى الوقت لإصدار هذا الكتاب.

* إلى ابنىّ محمد وعبد الرحمن ليعرفا الحقيقة ولو بعد حين.

إلى هؤلاء جميعا أهدى هذا الكتاب

المؤلف

مقدمة الطبعة الثانية

يتزامن صدور الطبعة الثانية من هذا الكتاب مع وصول عملية السلام بين العرب واسرائيل إلى طريق مسدود، بسبب تعنت الحكومة الاسرائيلية وممارساتها المناقضة لكل ما اتفق عليه سواء فى مؤتمر مدريد أو فى اتفاقيات أوسلو والتى تم التوصل إليها جميعاً برعاية وضمانة الولايات المتحدة الامريكية، حيث كان من المفترض أن تمارس الاخيرة دورها فى الضغط على الجانب الاسرائيلى لإجباره على تنفيذ مااتفق عليه. ولكن الذى حدث هو أن الولايات المتحدة لم تقم بدورها المطلوب، بل اختارت أن تكون فى خندق واحد مع الجانب الإسرائيلى، وعملت كل ما فى وسعها من أجل تمرير السياسة الإسرائيلية المناقضة لاتفاقيات السلام، بحيث أصبح التفريق بين الموقف الاسرائيلى والموقف الامريكى من أصعب الامور، بل إننا لا نجانب الحقيقة إذا قلنا أن التعنت الاسرائيلى اضحى مطلباً أمريكياً بالدرجة الاولى.

ولسنا هنا فى مجال تقييم اتفاقيات السلام، لأن ذلك لا يدخل ضمن أهداف هذا الكتاب، ولكن الذى نريد توضيحه والتركيز عليه هو تحديد ماهية الصراع الدائر فى منطقتنا منذ قرن من الزمان، وتحديد ابعاده والمتغيرات التى يمكن أن تؤثر فيه، ودوافع الدول التى تدعمه وتقف وراءه وتعمل كل ما بوسعها من اجل استمراره وترسيخ وجود الظاهرة الاسرائيلية فى المنطقة، وذلك بعيداً عن كل ما يقال عن أثر اللوبى والصوت الانتخابى اليهود وظروف الحرب الباردة وغيرها من الاقاويل التى أثبتت الاحداث عدم صحتها إطلاقاً، حيث سنركز فى هذه الدارسة على البعد الدينى للصراع، والذى يمكن أن يوضح لنا طبيعة العلاقة القائمة بين اسرائيل والدول الداعمة لها وعلى رأسها بريطانيا وأمريكا، والسبب الذى يدفع هذه الدول إلى تبنى المطالب الصهيونية والدفاع عنها باستماتة.

فى كلمة ألقاها بنيامين نتنياهو اثناء صلاة الصباح التى يقيمها المسيحيون الامريكيون لإسرائيل، فى مستهل فبراير ١٩٨٥ عندما كان سفيرا لاسرائيل لدى الامم المتحدة، اشاد نتنياهو بـ «الزمالة التاريخية بين المسيحيين المؤمنين واليهود، لان تلك الزمالة قد عملت بنجاح على تحقيق الحلم الصهيونى»

وفى كلمته تعجب نتنياهو كثيراً من جهل أولئك الذين يجدون مدعاة للدهشة فيما يقدمه المسيحيون الامريكيون الانجيليون من تأييد قوى وراسخ لاسرائيل ويصورونه كظاهرة جديدة، حيث قال «فأولئك الذين يعرفون التاريخ الحقيقى للانخراط المسيحى العميق فى الحركة الصهيونية لا يجدون أى مدعاة لاية دهشة أو تساؤل بشأن الدعم القوى الذى يقدمه لإسرائيل كل المسيحيين المؤمنين فى العالم.. والذى جعل الكتاب والقساوسة والصحفيين والفنانين ورجال الدولة، بريطانيين وامريكيين، دعاة متحمسين لإعادة اليهود إلى وطنهم، حيث لم تكن هذه الصهيونية المسيحية قاصرة على الدعوة أو المثاليات بل امتدت إلى الخطوات العملية اللازمة لتحقيق ذلك الذى كان حلماً».

هذا ما قاله نتنياهو قبل اكثر من اثنى عشر عاماً، عندما كان سفيراً لبلاده فى أمريكا، وها هو الآن يرأس الحكومة الاسرائيلية التى لن نقول عنها انها أكثر الحكومات الاسرائيلية تطرفاً وسعيا إلى التوسع فحسب، بل نضيف إلى ذلك انها أكثر الحكومات إدراكاً ووعياً لحقيقة الموقف الامريكى الرسمي والشعبى من الصراع الدائر فى المنطقة. فنتنياهو تربى وتعلم فى امريكا وعمل سفيراً لبلاده فيها، وتعرف خلال وجوده فيها عن قرب على التيار المسيحى الدينى الداعم لاسرائيل، وسعى هذا التيار لتحقيق المشروع الصهيونى بكامله، انطلاقاً من ايمان أتباعه بنبوءات توراتية تعتبر اقامة اسرائيل وعودة اليهود اليها وبناء الهيكل مقدمات ضرورية لعودة المسيح الثانية، وبداية العصر الألفى السعيد حيث سيحكم المسيح العالم من مقره فى القدس!! وانطلاقاً من ادراك نتنياهو لهذه الحقائق فقد حرص خلال حمله فى أمريكا وحتى بعد توليه رئاسة الوزراء على التقرب إلى هذا التيار والاجتماع بزعمائه ومؤيديه لكسب دعمهم وتأييدهم لكل ما يقوم به.

ففى الوقت الذى كان الجيش الاسرائيلى يتصدى بكل وحشية للمظاهرات العارمة التى اندلعت فى فلسطين بسبب اقدام الحكومة الاسرائيلية على افتتاح نفق بالقرب من المسجد الاقصى، كان نتنياهو يحضر اجتماعاً لمئات المسيحيين البروتستانت اعضاء السفارة المسيحية الدولية فى مدينة القدس، غير عابئ بالانتقادات الدولية لهذا القرار، حيث القى أمام المجتمعين خطاباً حماسياً حيث قوبل خطابه بالتصفيق الحاد والتهليل،

وقام بعض القساوسة الحاضرين بمباركة نتنياهو، وامسك به احدهم ووضع يده على رأسه وهو يرتدى القبعة اليهودية، واخذ يقرأ عليه الادعية والابتهالات الانجيلية داعياً الله أن يمده بالقوة للثبات على موقفه، وفى نفس الوقت كان جميع الحاضرين فى القاعة يرددون كلمة آمين. وخلال هذا الاجتماع قام نتنياهو باهداء المجتمعين مجسما لمدينة القدس خاليا من أى اثر للمسجد الاقصى وقبة الصخرة، حيث وضع مكانهما مجسما للهيكل اليهودى.

ولسنا هنا فى مجال سرد الوقائع والشواهد الكثيرة التى توضح اثر العامل الدينى فى كسبب تعاطف المسيحيين البروتستانت لاسرائيل، لاننا لو فعلنا ذلك سنكون بحاجة إلى عدة كتب لتسجيل ذلك. ولكننا نكتفى بما ورد فى هذا الكتاب من معلومات، والتى اعتقد انها كافية لابراز الدور الكبير الذى يلعبه العامل الدينى فى تحقيق المشروع الصهيونى، حتى قبل ظهور الحركة الصهيونية بقرون.

وقبل أن اختم هذه المقدمة اود الاشارة إلى امر مهم، وهو أن هذا الكتاب، لا يهدف إلى القول بأن كل مسيحيى العالم يدعمون اسرائيل ويؤيدون ما تقوم به فى فلسطين، بل أن هذا الامر مقصور فقط على اتباع المذهب البروتستانتى الذين ينتشرون فى امريكيا وبريطانيا وبعض الدول الاوربية الخاصة باسرائيل كما وردت فى الانجيل، ولهم موقفهم الخاص من اليهود واسرائيل، والذى يصل إلى حد العداء، وليس ادل على ذلك من أن البابا بولس السادس بابا الفاتيكان راعى الكنيسة الكاثوليكية ـ أكبر الكنائس المسيحية فى العالم ـ يرفض كثيرا من المواقف الاسرائيلية، ويرفض كذلك زيارة اسرائيل ومدينة القدس، اعراباً عن رفضه للاجراء المنفرد الذى قامت به اسرائيل باعتبار مدينة القدس مدينة موحدة وعاصمة ابدية لاسرائيل. كما أن الكنيسة الارثوذكسية لها موقف اكثر حدة من اليهود، حيث يرفض اتباعها الذين ينتشرون فى روسيا واليونان والدول العربية مواقف اسرائيل المختلفة فيما يتعلق بالصراع العربى الاسرائيلى.

فالصليبيون الجدد الذين نتحدث عنهم فى هذا الكتاب هم اتباع المذهب البروتستانتى الذى ظهر مع يسمى بحركة الاصلاح الدينى فى القرن السادس عشر، حيث يأخذ اتباع هذا المذهب بالتفسير الحرفى للانجيل، وقاموا بالسعى من اجل تحقيق كافة النبوءات الواردة فيه والخاصة باليهود ودول اسرائيل، ولا يزالون حتى هذه اللحظة يعدون العدة لتنفيذ باقى النبوءات والخرافات التوراتية وبالذات فيما يتعلق بمدينة القدس والمسجد الاقصى.

أما بالنسبة لموقف المسيحيين العرب، فلا مجال هنا للمس بهم وبمواقفهم المشرفة عبر التاريخ وبنضالهم فى سبيل نصرة قضايا امتهم العربية وعلى رأسها قضية فلسطين، حيث شاركوا بكل قواهم فى التصدى للخطر الصهيونى سواء بدمائهم أو باقلامهم التى كان لها صولات وجولات فى فضح الخطر الصهيونى والتصدى له من خلال كتابات ومواقف كثيره، ونخص بالذكر هنا موقف الكنيسة القبطية المصرية وعلى رأسها قداسة البابا شنوذة الذى اصدار أوامره إلى اتباعه بعدم زيارة مدينة القدس مادامت تخضع للاحتلال الاسرائيلى هذا بالرغم من وجود اتفاقية سلام بين مصر واسرائيل.

أن هذه الاشارة وهذا التوضيح كان ضروريا حتى لا يعتقد البعض اننا نهدف إلى تصعيد الصراع بين المسيحية والاسلام فى وقت حقق الحوار بين الاسلام وممثلى الكنائس المسيحية الارثوذكسية والكاثوليكية تفاهم واتفاق حول كثير من الامور، والذى نتمنى أن يستمر للوصول إلى تعايش وتعاون مثمر بين اتباع الديانتين، بعيداً عن محاولات التهويد المنظم التى تخضع لها بعض الفرق المسيحية البروتستانتية. كما أن هذا التوضيح كان ضرورياً حتى لا يوضع المسيحيون العرب موضع الاتهام عن جهل أو سوءنية، فالتعايش المسيحى الاسلامى فى عالمنا العربى سيظل شاهداً على التسامح والتعاون المثمر بين الاديان بالرغم من كل المحاولات التى يقوم بها اعداء امتنا العربية من اجل تعكير صفو هذا التعايش الذى جعل اللورد كرومر يقول: انه لم يلحظ فى مصر أى فرق بين مسلم ومسيحى سوى أن الاول يصلى الله فى مسجد والثانى يصلى لله فى كنيسة»

واخيراً، ارجو أن يكون هذا الكتاب اضافة جديدة للمكتبة العربية، يساهم ولو بقدر بسيط فى فهم طبيعة الصراع الدائر فى المنطقة، وطبيعة القوى التى تديره، حتى نتمكن من وضع تصور مستقبلى شامل لادارته، يكون مبنياً على اسس سليمة وفهم صحيح ومعطيات دقيقة، لان الخطأ فى فهم طبيعة العلاقة بين اسرائيل والقوى العظمى المؤيدة لها، ترتب عليه اخطاء كبيرة فى التعامل معها، واتخاذ العلاج الخاطئ للامور المصيرية، لا ينتج عنه الا اخطاء فادحة على كافة المستويات

والله من وراء القصد

يوسف العاصى الطويل

ابو ظبى فى ٢٨/ ٦/ ١٩٩٧

مقدمة الطبعة الأولى

على غزارة ما كتب عن القضية الفلسطينية خلال القرن الحالى، فإن هناك صعوبة كبيرة فى الكتابة عن بعض جوانبها، وبالذات الجوانب التى تتعلق بأسباب نشوء هذه القضية، والقوى التى عملت إيجادها.

والصعوبة هذا لا تنشأ من القضية ذاتها وعدالتها ووضوح الحق فيها، ولكنها تنشأ من الكتابات العديدة التى كتبت عن هذه النقطة أو تلك، وتناولتها من زوايا متعددة حتى أصبح تاريخ هذه القضية وكأنه سجل للتاريخ المعاصر بكل تناقضاته وصراعاته الأيديولوجية والفكرية.

فقد عرف تاريخ هذه القضية تصورات متباينة ومتصارعة، على المستوى العالمى، والعربى، الإسلامى، وحتى الفلسطيني. وامتد هذا التباين حتى برز فى داخل الأطر السياسية نفسها، حيث تناقضت الشعارات حتى فى الميدان الواحد، ونما التباين حتى أصبح كمية هائلة تحتاج وحدها إلى بحث وتمحيص، ونما القصور والتباين حتى تحول إلى صراع مكشوف أو تنافس مدمر.

فعلى المستويين العربى والفلسطينى، لم تخرج معظم التحليلات والكتابات، عن اعتبار إسرائيل حاملة طائرات أمريكية فى قلب الشرق الأوسط، وأن مهمتها الإمبريالية تكمن فى عزل الشرق العربى عن المغرب العربى للحيلولة دون تحقيق الوحدة العربية التى تستوى على إمكانيات اقتصادية وبشرية وجغرافية وسياسية هائلة.

فمن ناحية ركز الفكر العربى الثورى على حقيقة إسرائيل الإمبريالية، فقال إن هدفها ضرب الانظمة الثورية المعادية للإمبريالية فى المنطقة العربية. والمثقفون العرب من ناحيتهم، حصروا إسرائيل فى كونها، كيانا استيطانيا عنصريا مفرزا عن العالمية الرأسمالية. وقد نسى هؤلاء جميعا عدة حقائق منها:

١ـ إن قضية فلسطين بدأت قبل وجود أى نظام عربى ثورى، وحتى قبل استقلال الدول العربية نفسها.

٢ـ أن الدول الشيوعية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى ـ وهى النقيض للنظام الرأسمالى ـ كانت من أوائل الدول التى اعترفت بإسرائيل عند نشأتها، وكانت أيضا من أوائل الدول التى فتحت أبواب الهجرة على مصراعيه أمام اليهود!.

من هنا فإن الحديث عن الإمبريالية والثورية والوحدة العربية ـ التى لم تتحقق حتى على مستوى قطرى ـ يصبح حديثاً مبتوراً لا معنى له. كما أن الحديث عن دور اللوبى الصهيونى والصوت الانتخابى اليهودى فى تشكيل هذه السياسة أمر عار عن الصحة كما سنوضح. ومن هنا لا بد من البحث مجدداً عن سبب آخر يمكن أن يوضح لنا حقيقة وجود إسرائيل فى المنطقة العربية، والقوى التى تقف وراء هذا الوجود، ودوافعها لذلك.

وبالرغم من صعوبة ذلك فإننا سنحاول، فلايزال للحديث عن قضية فلسطين سبيل وسعة، فهناك معالم لابد من جلائها وتأكيدها على الدرب الممتد إلى فلسطين... كل فلسطين.

وأول خطوة نود أن نؤكدها هنا، هى ضرورة توحيد التصور الفكرى لقضية فلسطين، طبيعتها ـ القوى التى تقف وراء نشوئها ـ دوافع هذه القوى وأهدافها. وإذا استطعنا أن نصل إلى هذا التصور فإن علاج هذه القضية وتداعياتها سيكون أمراً سهلاً.

وهذا ما سنحاوله فى هذا الكتاب الذى يحمل اسم «الصليبيون الجدد... الحملة الثامنة». هذا بالرغم من إدراكنا، أن الحديث عن حروب صليبية فى هذا العصر... عصر العلم... عصر الحرية والديمقراطية... عصر العلمانية، يعتبر أمراً مستهجناً لدى البعض، الذين يعتقدون أن الدين أو الصراعات الدينية لم يعد لها وجود فى هذا العصر، الذى تحرر على المستوى الاوروبى من قيود الكنيسة، وعلى المستوى الاسلامى من الخلافة الإسلامية التى حلت محلها أنظمة علمانية. ولكن بالرغم من ذلك سنحاول، انطلاقا من ايماننا بأن الدين كان ولايزال هو الملهم والمحرك الاساسى لكافة الافعال البشرية. فكما يقول المؤرخ الإغريقى بلوكارل: «لقد وجدت فى التاريخ مدن

بلا حصون، ومدن بلا قصور... ومدن بلا مدارس... ولكن لم توجد أبداً مدن بلا معابد».

ولتوضيح الصورة أكثر سأقتبس مقاطع من خطاب ألقاه الزعيم الصهيونى إسرائيل زانغويل فى ٢ ديسمبر ١٩١٧ ، أى بعد صدور وعد بلفور بشهر واحد، وصف فيه المحاولات البريطانية والأمريكية، الرامية إلى إعادة اليهود إلى أرض فلسطين بقوله:

«سبع حملات صليبية إلى الأرض المقدسة، عادت على اليهود بالمذابح، فهل ستؤدى الحملة الصليبية الثامنة إلى استرجاع اليهود لفلسطين؟ وإذا كانت صليبية حقة، فإن تلك الحقيقة بالذات تأتى بمثابة البرهان على النظام الجديد لعالم تسوده المحبة والعدالة»

ولم ينس زانغويل فى هذا الخطاب، أن يكمل صورة النظام الجديد الذى توقع ميلاده فى ظل الحملة الصليبية الثامنة، حيث أشار إلى ضرورة طرد العرب من أرض فلسطين ليتسنى إحلال اليهود مكانهم، لإقامة الوطن القومى اليهودى. كما تمنى فى هذا الخطاب أن يكتمل هذا العمل عن طريق جعل مدينة القدس مقراً لعصبة الأمم، بدلاً من لاهاى المفلسة، ليتسنى جمع الحلمين العبرانيين، الأكبر والأصغر، ودمجهما فى حلم واحد، ولتصبح العاصمة العبرانية ـ ملتقى الديانات العالمية الثلاث ـ مركزا ورمزاً للعصر الجديد فى الحال».

هذا ما قاله زعيم صهيونى، وهذا ما يدور حوله كتابنا هذا، والذى سبق وتم نشر أجزاء منه فى جريدة الخليج الإماراتية فى عام ١٩٨٩ ، تحت عنوان «اليهود فى التراث الدينى المسيحى» كما تم نشر أجزاء من هذا الكتاب فى جريدة القدس فى عام ١٩٩٣ تحت عنوان الصليبيون الجدد... الحملة الثامنة.

والدراسة التى بين أيدينا ـ وإن كانت لا تخرج عن الإطار العام للدراستين اللتين سبق ونشرتا فى جريدتى الخليج والقدس، إلا إنها أوسع وأكثر شمولاً منهما؛ حيث أضيفت إليهما بعض القضايا والمواقف التى لم ترد فى أى من الدراستين السابقتين.

والحمد لله فى البدء والختام

يوسف العاصى الطويل

١٣/ ١٢/ ١٩٩٥ رفح ـ فلسطين

تمهيد

هناك تساؤلات كثيرة تطرح نفسها على المتتبع للموقف المتحيز لدول أوروبا بوجه عام، وأمريكا وبريطانيا بوجه خاص، حيال الصراع العربى الإسرائيلى. فلا بد أن الكثيرين سألوا أنفسهم عن أسباب هذا التحيز، وعن المكاسب التى تسعى لتحقيقها هذه الدول من وراء هذا التحيز.

وسيجد السائل إجابات عديدة على هذا السؤال، من خلال ربط هذا التحيز بالأطماع الاستعمارية لهذه الدول ـ سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو عسكرية ـ فى هذه المنطقة، هذا بالإضافة إلى ما يقال عن أثر اللوبى الصهيونى فى تشكيل هذه السياسة المتحيزة لإسرائيل والمعادية للعرب.

وأعتقد أن هذه الإجابات ليست كافية لتبرير هذا التحيز والعداء التام من قبل هذه الدول ـ وبخاصة إنجلترا وأمريكا. وسبب عدم كفاية هذا التبرير ـ حسب رأيى ـ هو أن هذا الموقف المتحيز ليس من قبيل التحيز المرحلى الذى يتغير حسب سير المصالح وتغييرها، فيكون متحيزاً لأحد الأطراف عندما يجد أن مصالحه وأطماعه تتطلب ذلك. ولكن هذا التحيز ـ كما أعتقد وسأبين ـ مبنى على أساس عامل مهم جداً يجعل منه موقفا مبدئياً لا يتغير بسهولة.

حساب المصالح:

بالرغم من أن تحيز الدول الأوربية وأمريكا إلى جانب إسرائيل يحقق لها أهدافاً ومصالح كثيرة ويبقى على أطماعها التوسعية حية فى المنطقة العربية، فإنه وفى نفس الوقت يضع مصالح هذه الدول فى خطر كبير لأنه يزيد من حجم العداء لهذه الدول فى المنطقة العربية، بالإضافة إلى أنه يدفع الدول العربية إلى اللجوء إلى دول أو أحلاف معادية لأمريكا وحلفائها، كما كان الحال قبل انهيار المعسكر الشرقى.

ومهما حاولنا أن نتكلم عن الأهداف التى تسعى أمريكا وحلفاؤها إلى تحقيقها من خلال تحيزها إلى جانب إسرائيل، فإن هذا التحيز بحساب المصالح يعد خاسراً وفيه مغامرة كبيرة لا تحمد عقباها على هذه الدول. فأمريكا وحلفاؤها يمكنهم أن يبقوا على هذه المصالح، بل ويزيدوها من خلال وقوفهم موقفاً عادلاً وليس متحيزاً حيال

الصراع العربى الإسرائيلى. فما دامت هذه المصالح مصانة إلى حد ما بالرغم من وجود التحيز الأمريكى الأوروبى لإسرائيل، فإنها ستكون مصانة أكثر لو أن هذا الموقف تغير لصالح القضية العربية.

فالتاريخ لم يشهد محاولة دولة معينة الحفاظ على مصالحها فى منطقة معينة عن طريق معاداتها لدول هذه المنطقة، أو التحيز لمن يعاديها. فأى دولة تريد الحفاظ على مصالحها فى منطقة معينة، تسعى بكل الوسائل إلى تعزيز روابطها بدول هذه المنطقة، وتحاول بقدر المستطاع الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يعكر صفو هذه الروابط، حتى لا ينعكس ذلك على مصالحها. ولهذا فإن حساب المصالح هذا دفع كثيراً من الدول الأوربية إلى تغيير سياستها حيال الصراع العربى الإسرائيلى، بحيث أصبح هذا الموقف أكثر اعتدالاً ومعقولية من ذى قبل (فرنسا وايطاليا على سبيل المثال)، كما أن هذه الدول تحاول قدر المستطاع الابتعاد عن كل ما يمكن أن يؤثر سلباً على علاقاتها مع الدول العربية.

ولكن الموقف الأمريكى بالذات بقى كما هو عليه، بل ازداد فى تحيزه ودعمه لإسرائيل. لقد أصبح موقفاً استفزازياً وعدائياً أكثر من أى وقت مضى، ففى أعقاب كل عدوان إسرائيلى على الأمة العربية والشعب الفلسطينى، تجد إسرائيل مكافأة أمريكية تنتظرها، ابتداء من صفقات الأسلحة المتطورة والمعونات الاقتصادية الضخمة، وانتهاءً باستخدام حق الفيتو ضد أى قرار يكون فى غير صالح إسرائيل.

فأى مصلحة اقتصادية أو عسكرية أو سياسية ستعود على أمريكا منه خلال نقل سفارتها إلى القدس الشريف، بالرغم من إدراك صانعى القرار فى أمريكا بالمكانة الخاصة للقدس فى قلوب ملايين العرب والمسلمين والمسيحيين..؟ بالطبع لا توجد أى مصلحة من هذا النوع، حيث أن هذا القرار كغيره من القرارات الأمريكية السابقة سيلحق ضرراً كبيراً بالمصالح الأمريكية ليس فى العالم العربى فحسب، بل فى العالم الإسلامى أيضاً عاجلاً أم آجلاً.

كل هذا يجعلنا نفترض أن حساب المصالح كما نفهمه ليس هو المؤثر الوحيد فى هذا التحيز، بل لا بد من البحث عن عوامل أخرى يمكن أن تبرر هذا التحيز من قبل أمريكا وإنجلترا بالذات، لصالح إسرائيل والتى يمكن أن تجعلنا نتعرف على السر فى أن إنجلترا وأمريكا دون دول العالم هما اللتان جعلتا تحقيق الحلم الصهيونى فى أرض

فلسطين حقيقة واقعة. فبفضل وعد بلفور والانتداب البريطانى على فلسطين، استطاع اليهود إقامة دولتهم، وبفضل الدعم الأمريكى المتواصل، استطاعت اليهود إقامة دولتهم، وبفضل الدعم الأمريكى المتواصل، استطاعت إسرائيل بناء نفسها والتصدى لكافة الأخطار التى واجهتها. فما هو السر فى ذلك؟! هل يعود ذلك إلى نفوذ اللوبى سة الكما أنه بدا واضحاً خلال هذا القرن مدى التعاطف مع اليهود وآم أن يفسروه، أم إلى أمر آخر؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه.

نفوذ اللوبى الصهيونى:

يحاول كثير من المحللين إظهار اليهود كنموذج فريد لمجموعة ناجحة فى كل مجالات الحياة، تستطيع التأثير على صناع القرار فى أمريكا وإنجلترا من خلال سيطرتها على وسائل الإعلام والاقتصاد فى هذه الدول، ومن خلال ما يلجأون إليه من وسائل لممارسة الضغوط على صناع القرار فى هاتين الدولتين، هذا بالإضافة إلى ما يقال عما يتميز به الزعماء الصهاينة من عبقرية ودهاء واستغلال للفرص، أمثال هرتزل ووايزمان وسو كولوف وغيرهم. لذلك فإن هؤلاء المحللين يعزون صدور وعد بلفور إلى حاييم وايزمان وطاقاته الجبارة وتصميمه وإخلاصه ومواهبه السياسية والعلمية، كما يعزون نجاح الحركة الصهيونية فى أمريكا إلى اللوبى الصهيونى القوى وما يتمتع به من تنظيم وما يملك من وسائل للضغط على الرؤساء الأمريكيين.

إن تضخيم نفوذ اللوبى الصهيونى وجعله وكأنه يحكم أمريكاشئ مبالغ فيه جداً، إلا إذا حاولنا فهم هذا النفوذ على أساس أن هذا اللوبى يعمل فى بيئة سياسية وثقافية ملائمة إلى أقصى الحدود للأفكار الصهيونية التى تلقى الدعم المادى والمعنوى على المستويين الشعبى والحكومى. كما أن تضخيم دور الزعماء الصهاينة أمثال هرتزل ووايزمان وغيرهم، وجعلهم وكأنهم بذلوا جهوداً خارقة وفوق العادة للحصول على مطالبهم، أمر عارٍ عن الصحة. فالأفكار الصهيونية كانت موجودة قبل ظهور الحركة الصهيونية بفترة كبيرة، وتبناها أشخاص أوربيون وأمريكان فى وقت كان فيه اليهود يرفضون ويحاربون من يفكر بهذه الأمور. وسيتضح لنا هذا الأمر بصورة جلية عند حديثنا عن الحركة الصهيونية والظروف التى ظهرت بها.

الصوت الانتخابى اليهودى

وبالمثل فإن تضخيم دور الصوت الانتخابى اليهودى فى الانتخابات الأمريكية أمر مبالغ فيه ويناقض الواقع. «نعم إن الجالية اليهودية نشطة ولها تأثير، ولكن القول بأنها تحكم أمريكا ليس صحيحاً. فلم يحدث أبداً أن كان الرئيس أو نائب الرئيس يهودياً ونسبة اليهود فى الكونجرس لا تزيد إلا قليلاً عن نسبة اليهود فى أمريكا أى ٢ـ ٣٪» (١) حيث يبلغ تعدادهم حوالى ٦ ملايين نسمة تقريباً، أى أن أصواتهم الانتخابية لا تتعدى ٢ ـ ٣٪ من نسبة الأصوات الانتخابية فى أمريكا، وهذه النسبة ليست بالنسبة الكبيرة والتى تمكن اليهود من التأثير على سير الانتخابات. لو كان لهذه النسبة أى تأثير لكان للمسلمين والعرب فى أمريكا أثر فى تشكيل السياسة الأمريكية، لأن تعدادهم يزيد على تعداد اليهود هناك.

كما أن السود يشكلون نسبة كبيرة من السكان، بالإضافة إلى أقليات أخرى، وبالرغم من ذلك لم نسمع عن أى أثر لأصواتهم الانتخابية ولم نسمع عن أى رئيس أمريكى سعى لاسترضائهم كما يفعل مع اليهود. إذا فالقضية ليست قضية صوت انتخابى فحسب....

تضخيم فى غير محله:

أن هذا التضخيم لأثر الصوت الانتخابى اليهودى ولأثر اللوبى الصهيونى فى تشكيل السياسة الخارجية لأمريكا شئ مبالغ فيه وعارٍ عن الصحة . فما كان من الممكن أن يكون للصوت اليهودى واللوبى الصهيونى هذا التأثير لولا وجود عامل مهم ـ غائب عن تحليلات معظم المحللين السياسيين ـ يجعل الأمريكيين والإنجليز بعامة، والسياسيين بخاصة يرضخون، بل يتبنون الأفكار الصهيونية.

فى هذه الدراسة سنحاول البحث عن هذا العامل (الغائب) فى مضمون التراث الدينى لدى المسيحيين فى هاتين الدولتين، بهذا التراث الذى كان له الدور الأساسى فى كسب التعاطف مع الحركة الصهيونية وبرنامجها الاستيطانى فى فلسطين.

الفصل الأول

اليهود فى التراث الدينى المسيحى

يستمد التراث الدينى فى كلٍ من إنجلترا وأمريكا، أصوله من المذهب البروتستانتى السائد فى هاتين الدولتين، والذى نشأ مع حركة الإصلاح الدينى التى قادها مارتن لوثر فى القرن السادس عشر ضد الكنيسة الكاثوليكية فى روما. ولسنا هنا بصدد بحث تفصيلى لمبادئ هذا المذهب، بقدر ما سنحاول إبراز التغيير الجوهرى الذى أحدثه هذا المذهب فى تفكير أتباعه حيال اليهود ـ ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ـ والذى ساعد كثيراً على تعاطف الكثيرين من أتباعه مع اليهود وسعيهم لتحقيق آمالهم فى العودة إلى أرض فلسطين حتى قبل ظهور الحركة الصهيونية بثلاثة قرون.

لقد أحدثت حركة الإصلاح الدينى تغييراً جوهرياً ـ بالمقارنة مع موقف الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الأخرى ـ فى موقفها من اليهود بحيث تولدت عن هذا الموقف نظرة جديدة للماضى والحاضر والمستقبل اليهودى.

فقد كانت المبادئ التى جاءت بها حركة الإصلاح الديني مغايرة تماماً للمبادئ الكاثوليكية فى موقفها من اليهود، ولذلك يصف البعض هذه الحركة بأنها ساهمت فى بعث اليهود من جديد.

موقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود:

كان موقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود ـ ومازال مع حدوث بعض التغيرات لصالح اليهود ـ موقفاً متشدداً، حيث كان ينظر إلى اليهود نظرة عدائية بسبب رفضهم الإيمان بدعوة السيد المسيح وكفرهم بها، ولذلك وصفهم السيد المسيح أكثر من مرة (بخراف بنى إسرائيل الضالة) وبغيرها من الأوصاف، كما أن اليهود كانوا يعتبرون مارقين وكفرة واتهموا بأنهم قتلة المسيح.

لذلك لم يكن هناك فى العقيدة الكاثوليكية التى تلتزم بالتفسير المجازى للإنجيل

أدنى فكرة أو احتمال لعودة اليهود إلى فلسطين أو بعث الأمة اليهودية من جديد، لأن هذه الأمة حسب رأيهم انتهى وجودها بظهور دعوة السيد المسيح.

فرجال الدين الكاثوليك كانوا يعتقدون أن الفقرات الواردة فى العهد القديم والتى تتنبأ بعودة اليهود إلى فلسطين وبمستقبل مشرق لإسرائيل لا تنطبق على اليهود، بل على الكنيسة الكاثوليكية مجازاً، لأن اليهود طبقاً للعقيدة الكاثوليكية اقترفوا إثماً، فطردهم الله من فلسطين إلى منفاهم فى بابل، وعندما رفضوا دعوة السيد المسيح نفاهم الله ثانية، وبذلك انتهت علاقة اليهود بأرض فلسطين إلى الأبد.

وقد وضح هذه النقطة بطريرك الروم الكاثوليك فى دمشق فى كتاب له مؤرخ فى ١٧ ـ ١١ـ ١٩٧٧ حيث قال:

«إنه يفوت بنى قومى أن السيد المسيح نسخ أحكام العهد القديم القومية، فبعد أن لعن سبع لعنات فقهاء العهد القديم (متى ٢٣) ختم بهذا الحكم المبرم قائلاً: هوذا بيتكم يترك خراباً (متى ٢٣ ـ ٣٨) وقد تحققت نبوءة السيد المسيح الذى رفضوه ولم يبق لهم وعد الله التوراتى بالأرض المقدسة» (٢).

كما أن البعض يرى أن هذه النبوءات تحققت فعلاً، عندما أعادهم الملك الفارسى قورش من منفاهم فى بابل فى القرن السادس قبل الميلاد. ولذلك فليس هناك أى نبوءة أخرى فى العهد القديم تنص على عودتهم ثانية إلى فلسطين بعد عودتهم من الأسر البابلى.

كما أن الكنيسة الكاثوليكية وغيرها من الكنائس الآخرى لم تكن تعترف بأن اليهود هم شعب الله المختار، لأن السيد المسيح حارب بشدة هذه النزعة العنصرية فيهم ودعا اليهود وغيرهم إلى الدخول فى ملكوت الله المفتوح أمام جميع الصالحين «لأن الله لايخص أحداً بالرعاية لأسباب ذاتية، فالشمس تسطع على الجميع سواء بسواء»(٣).

وبالنسبة للعهد القديم (التوراة) فقد كان مهملاً قبل حركة الإصلاح الدينى حيث كان الاعتماد الأساسى على العهد الجديد ورسائل الرسل والإلهامات غير المكتوبة

للباباوات، وكانت اللغة العبرية لغة ميتة، حيث كانت الأساطير الكاثوليكية ترى أن دراسة اللغة العبرية تسلية الهراطقة، وأن تعلمها بدعة يهودية.

في ظل هذا الموقف من الكنيسة الكاثوليكية لم يكن هناك أى أمل فى إعادة بعث اليهود أو عودتهم وتملكهم لأرض فلسطين من جديد.

موقف البروتستانت من اليهود:

عندما ظهر المذهب البروتستانتى على يد مارتن لوثر فى القرن السادس عشر، قلب هذه الأمور رأساً على عقب، من خلال التغيرات اللاهوتية التى جاء بها والتى روجت لفكرة أن اليهود أمة مفضلة وأكدت ضرورة عودتهم إلى أرض فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر وبزوغ فجر العصر الألفى السعيد.

وكان من أهم الأسباب التى أدت إلى حدوث هذه التغيرات اللاهوتية، هو ما دعا إليه لوثر من وجوب إقامة الحقيقة الدينية على أساس الفهم الشخصى دون الخضوع لفهم رجال الدين لها. فأصبح كل بروتستانتى حرا فى دراسة الكتاب المقدس وتفسيره واستنتاج معنى النصوص بشكل فردى مع عدم الاعتراف بأن فهم الكتاب المقدس وقف على رجال الكنيسة وحدهم. وهذا الوضع أدى إلى فتح الباب على مصراعيه أمام أصحاب البدع والأضاليل، مما أدى إلى تعدد الفرق البروتستانتية نفسها حتى وصل عددها الآن إلى أكثر من ٢٠٠ فرقة فى مذهب لم يتعدَ وجوده أكثر من أربعة قرون!(٤).

كما أنه فى ظل هذا المذهب ازداد الاهتمام بالعهد القديم (التوراة)، تحت شعار العودة إلى الكتاب المقدس، باعتباره مصدر العقيدة النقية، مع عدم الاعتراف بالإلهامات والتعاليم غير المكتوبة التى يتناقلها الباباوات الواحد عن الآخر والتى تعتبر مصدراً مهماً من مصادر العقيدة المسيحية.

وهكذا أصبح العهد القديم يشكل جزءا مهماً من مصادر العقيدة البروتستانتية، فأصبح هو المرجع الأعلى للسلوك والاعتقاد ومصدراً للتعاليم الخلقية والمعلومات التاريخية أيضاً.

وإذا كان العهد القديم يتكون من ٣٩ سفراً يذهب أغلب الباحثين إلى أنه لايمكن نسبة إلا خمسة أسفار ـ تجاوزاً ـ إلى سيدنا موسى، أما الباقية فهى عبارة عن سجل لتاريخ بنى إسرائيل فى فلسطين، بالإضافة إلى بعض الأسفار والنبوءات التى كتبها حاخامات اليهود على فترات متفاوتة من الزمن.

فى ظل هذا الوضع أصبح العهد القديم مصدراً مهماً للمعلومات التاريخية عند العامة، حيث اقتصر تاريخ فلسطين على القصص المتعلقة بالوجود اليهودى فيها دون غيرها، وبالتالى أصبح البروتستانت مهيئين للاعتقاد بأنه لم يكن فى فلسطين إلا الأساطير والقصص التاريخية الواردة فى العهد القديم، حيث كان يبدو وكأنه لا وجود للشعوب الأخرى التى عاشت فى فلسطين. وهكذا رسخت فى أذهان البروتستانت فكرة الرابطة الأبدية بين اليهود وفلسطين باعتبارها وطنهم القومى الذى أخرجوا منه والذى يجب أن يعودوا إليه طبقاً للنبوءات الواردة فى العهد القديم.

كما أن حركة الاصلاح الدينى أعطت وزناً كبيراً للغة العبرية بإعتبارها اللغة الأصلية للكتاب المقدس. فلكى يفهم المؤمنون كلمة الله بشكل صحيح لابد لهم من معرفة اللغة الأصلية التى كتب بها، وبالتالى أصبح العلماء والمصلحون وحتى العامة منكبين على دراسة اللغة العبرية وتعلمها.

وهكذا يمكننا تقديرالخدمة التى قدمها لوثر لليهود، حيث أعاد بعثهم من جديد وأكد وجوب عودتهم إلى أرض فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر. لهذا فإن الكنيسة الكاثوليكية كانت تصفه (بأنه يهودى أو نصف يهودى ـ متهود) وكان الكاثوليك يقولون: إن لوثر من أصحاب البدع والأضاليل وإنه وأمثاله زاغوا عن طريق الإيمان» (٥)

كما أن كثيرا من الباحثين يذهبون إلى القول بأن المذهب البروتستانتى أصلاً من صنع اليهود والماسون حيث يقول عبدالله التل فى كتابه (جذور البلاء): «وجدت الماسونية فى البروتستانتية خير سند لها فى حربها ضد الكثلكة، وتبادل الفريقان الخدمات، الماسون يساندون البروتستانت لإذكاء الحرب بين الفرق النصرانية،

والبروتستانت ينخرطون فى محافل الماسون للاستفادة من نشاطهم السرى ومؤامراتهم ودسائسهم» [٦].

ويقول عبدالله الزعبى فى كتابه الماسونية فى العراء:

«لقد ضرب التخطيط اليهودى بالحركة اللوثرية حجراً فأصاب به عصافير: -

١- أصاب الكرسى البابوى فى أكرم أبنائه.

٢- استغل الدين للمصلحة اليهودية استغلالاً فجاً أن ربط العهد الجديد بالعهد القديم. لقد كان العهد القديم قبل لوثر مهجوراً، مصفداً فى أقبية الأديرة، ثم أخذ بالظهور منذ الحركة اللوثرية، وفاز بالترجمة والانتشار لاستغلال ما يرونه مواعيد» [٧].

ويضيف «أكاد أجزم أن دماً يهودياً يسرى بعروق لوثر، فقد خدم اليهودية خدمة لا تقدر، حسبه اخراج العهد القديم من الخزائن الرطبة والأقبية المظلمة وترجمته وربطه بالعهد الجديد ليصبح جميع مطالعيه ساعين لتنفيذ العهود التى سطرت بعد إبراهيم بقرون وألصقت به» [٨].

إن أهمية الأفكار التى جاءت بها حركة الإصلاح الدينى على يد لوثر، تعود إلى أنها مهدت الطريق أمام نفس الأفكار التى نادت بها الحركة الصهيونية فى القرن التاسع عشر من خلال تأكيدها على وجود الأمة اليهودية وضرورة بعث هذه الأمة من جديد وكون فلسطين وطناً لليهود.

فهذه الأفكار التى أكدتها البروتستانتية لا تختلف كثيرا عن الصهيونية كفكرة» والتى تنطوى فى جوهرها على دعوة اليهود للعودة إلى صهيون، أى مناشدة اليهود فى العالم للعودة إلى أرض إسرائيل بحدودها التى ورد ذكرها فى الكتب المقدسة لدى اليهود» [٩].

وقد أدى انتشار الأفكار المتعلقة ببعث الأمة اليهودية بين معتنقى المذهب البروتستانتى إلى سعى الكثيرين منهم لتحقيقها طبقاً للنبوءات الواردة فى العهد القديم، «فمع العودة إلى أهمية الكتاب المقدس، قام الاصلاحيون بترجمته إلى لغات عديدة.

كما أصبحت العودة إلى التوراة، وهى القسم الأول والأكبر من الكتاب المقدس، أساسا فى الفهم الدينى الجديد، ومحورا للتعليم فى المدارس.

وهكذا، مع انبعاث التاريخ القديم، بكل تفاصيله وحكاياته التوراتية، تحولت فلسطين فى الضمير البروتستانتى من الأرض المقدسة للمسيحيين، إلى أرض الشعب المختار، فآمن البروتستانت بأن اليهود لابد عائدون إلى الأرض المقدسة كما جاء فى النبوءات التوراتية وهذا مما أيقظ قضية انبعاث اليهود وعودتهم الجماعية إلى فلسطين حيث يظهر المسيح للمرة الثانية ويحكم لألف عام، وقد آمن بعض البروتستانت بضرورة اعتناق اليهود للمسيحية تمهيدا لقدوم المسيح، وآمن بعضهم بامكان تحولهم هذا بعد قدومه»(١٠).

الهوامش

١ـ الولايات المتحدة وإسرائيل ـ برنارد ريتش ـ ترجمة مصطفى كمال ـ ص ١٦٦.

٢ـ العدوان الإسرائيلى القديم، والعدوان الإسرائيلى الحديث على فلسطين ـ محمد عزة دروزة ـ ص٦.

٣ ـ مقارنة الأديان والاستشراق ـ د. أحمد شلبى ـ مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية ص ١٩٩.

٤ـ قصة الديانات ـ سليمان مظهر، ص ٢٣١

٥ ـ المسيحية ـ د. أحمد شلبى، ص ٢٦٢

٦ـ جذور البلاء ـ عبد الله التل، ص١٨

٧ـ الماسونية فى العراء ـ محمد على الزعبى، ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

٨ ـ المصدر السابق، ص ٣٢٠.

٩ـ القضية الفلسطينية والخطر الصهيونى ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عام ١٩٧٣ ـ ص٥١.

١٠ـ فلسطين، القضية ـ الشعب ـ الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص ٢٨٦.

الفصل الثانى

بريطانيا والمشروع الصهيونى

وطدت حركة الإصلاح الدينى أقدامها فى إنجلترا منذ أن انفصل الملك هنرى الثامن عن كنيسة روما فى القرن السادس عشر، حيث «شهرت فى بريطانيا، بين عدد من المسيحيين البروتستانت، رجالاً ونساءً، حركة تدعى (حركة العودة) وهى حركة منطلقة من إيمان المسيحيين بعودة اليهود إلى فلسطين. وقد اعتقد رواد هذه الحركة أن على العالم أن يساعد اليهود فى استعادة فلسطين. وسيتضح أن مشكلة هؤلاء الرئيسية لم تكن فى اقناع العالم بل فى اقناع اليهود أنفسهم» (١).

وقد أسس هذه الحركة عالم اللاهوت توماس بريتمان، حيث لاقت دعوته آذانا» صاغية من الكثير من الكبار امثال القاضى وعضو البرلمان هنرى فنش، الذى أصدر أول كتاب عن الصهيونية فى لندن فى سنة ١٦٢٨ (٢) وقد كان فنش من المؤمنين بفكرة العصر الألفى السعيد، والتى تعنى عودة المسيح المنتظر الذى سيقيم مملكة الله فى الأرض والتى ستدوم ألف عام، ولابد من عودة اليهود إلى أرض فلسطين كمقدمة لذلك.

ثم وصلت حركة الإصلاح الدينى إلى ذروتها فى إنجلترا فى القرن السابع عشر فى عهد ما يسمى بالثورة البوريتانية، عندما تولى أو لفرت كروميل السلطة وأعلن الجمهورية. والحركة البوريتانية، (حركة التطهر) والتى ظهرت وانتشرت فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، هى الحركة التى حولت الأفكار والمبادئ الدينية المتعلقة باليهود إلى عقيدة سياسية، أهم أفكارها: فكرة وجود، الشعب اليهودى، وفكرة عودة الشعب اليهودى إلى فلسطين، وفكرة استيطانه وسيادته فى فلسطين» (٣)

ففى عهد البوريتارنيين ازداد الاهتمام بالعهد القديم بشكل كبير، وأصبح كتابهم الوحيد الذى يستمدون منه فلسفتهم وأفكارهم ومعتقداتهم وطريقة سلوكهم. كما

ازداد فى عهدهم الاهتمام باللغة العبرية بشكل كبير جداً حتى جعلها بعضهم اللغة الوحيدة للصلاة وتلاوة الكتاب المقدس،واقترح بعضهم أن يتضمن منهج التعليم العام فى المدارس الثانوية دراسة العبرية، وظهرت لديهم نزعة التخلى عن المبادئ الخلقية المسيحية واستعاضوا عنها بالعادات والأخلاق اليهودية، بل إن إحدى مجموعاتهم المتطرفة دعت الحكومة الانجليزية لإعلان التوراة دستوراً للقانون، وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فاعتنق اليهودية، أما الذين بقوا على مسيحيتهم فقد أخذوا ينظرون بعطف متزايد إلى اولئك الذين أطلقوا عليهم اسم شعب الله القديم «اليهود» (٤) وقد انتشرت الحركة البوريتانية بمبادئها وأفكارها، خارج بريطانيا، وكان نشاطها الطويل نواة للاهتمام البريطانى بالمسألة اليهودية.

المطالبة بإعادة اليهود إلى فلسطين:.

كان من نتائج انتشار البروتستانتية فى إنجلترا، ظهور حركة منظمة تنادى بإعادة اليهود إلى فلسطين. ففى ١٦٤٩ قام اثنان من الإنجليز المقيمين فى أمستردام برفع عريضة إلى حكومتهم يطلبون فيها بذل جهد مشترك مع هولندا لتوطين اليهود فى فلسطين، حيث جاء فى العريضة:

«ستكون هذه الأمة الإنجليزية مع سكان الأراضى المنخفضة (هولندا) أول الناس وأكثرهم استعداداً لنقل أبناء إسرائيل وبناتها إلى الأرض التى وعد بها أجدادهم إبراهيم وإسحق ويعقوب كإرث باق أبداً» (٥)

ولم تكن هذه الأفكار سائدة فى إنجلترا وحدها فى هذه الفترة، بل إنها امتدت إلى المناطق الأخرى من أوروبا والتى أصبحت البروتستانتية راسخة الأقدام فيها مثل هولندا وبلجيكا ومجموعة الدول الإسكندنافية.

وبالرغم من أن هذه الأفكار كانت تخبو من حين لآخر، ولاقى الكثير من المؤمنين بها الازدراء والتعذيب، فإن الكتابات الكثيرة التى روجت لهذه الأفكار ساعدت على تعزيز فكرة العودة اليهودية إلى فلسطين.

الأفكار الصهيونية تغزو عقول الطبقات المثقفة:.

تأثر كثير من الأباء والفنانين بأفكار وأساطير العهد القديم، وأصبح مصدر إلهام لكثير

منهم فقد فسحت الأجواء البروتستانتية المجال واسعاً أمام اليهودية لدخول عالم الفن والأدب، وما عادت أهمية التوراة تنحصر فى كونها كتاباً دينياً، اذ أضحت مرجعاً لتعليم الأخلاق. وهكذا انطلقت اليهودية مع عصر النهضة ركناً أساسياً فى الفكر الاوروبى الحديث، ومصدر إلهام لشعراء الغرب وأدبائه ورساميه» (٦).

و«اليوم تضم أكبر متاحف الدنيا وأهمها، اللوحات الزيتية للفنانين المسيحيين البروتستانت، الذين خلدوا مرحلة وهج الإصلاح الدينى برسمهم حكايات التوراة وأنبياء التوراة عوضا عن القديسين ويحتل رمبراندت الرسام الهولندى البروتستانتى مكان الصدارة فى بعث المشاهد الاسرائيلية القديمة وشخصياتها فقد استلهم رمبراندت التوراة عندما رسم العديد من اللوحات لإبراهيم ويعقوب وشاول وشمشون وإستر وداود، كما إنه استلهم الحياة اليهودية المعاصرة فرسم عروساً يهودية ولوحة ليهودى طاعن فى السن» (٧).

أمّا فى مجال الأدب فقد أصبح أنبياء اليهود يحتلون بالتدريج مكانة الأبطال اليونانيين الكلاسيكيين فى عالم الأدب الغربى. كما شاعت شخصيات العهد القديم فى الأعمال الأدبية حتى أن بعض هذا الأعمال حملت أسماء بعض شخصيات العهد القديم، مثل (إستر) و(ناتان الحكيم).

بالإضافة إلى ذلك كان بعض الفلاسفة والعلماء من المؤمنين بضرورة عودة اليهود إلى أرض فلسطين. فقد جاء فى كتاب (تعليقات على رسائل القديس بولس) الذى كتبه الفيلسوف الإنجليزى جون لوك، قوله. « إن الله قادر على جمع اليهود فى كيان واحد وجعلهم فى وضع مزدهر فى وطنهم» (٨)

كما أن اسحق نيوتن مكتشف قانون الجاذبية، فى كتابه (ملاحظات على نبوءات دانيال ورؤيا القديس جون) توصل إلى أن اليهود سيعودون إلى وطنهم، وحاول أن يضع جدولاً زمنيا للأحداث التى ستفضى لذلك، وتوقع تدخل قوة أرضية من أجل إعادة اليهود المشتتين» (٩) وكان جوزيف برستلى ـ مكتشف الأوكسجين ـ شديد الإيمان بعودة اليهود إلى فلسطين، بشرط تحولهم إلى المسيحية، حيث كان هذا الرأى السائد بين البروتستانت.

وهكذا فقد كان القرن السابع عشر هو العصر الذهبى لانتشار الأفكار الدينية المتعلقة بعودة اليهود إلى فلسطين.

تغير فى الأفكار:.

شهد القرن القرن الثامن عشر فترة عدم استقرار فى أوروبا بسبب كثرة الحروب وما تبعها من ثورات، حيث بدأ يظهر تغير فى مضامين الأفكار المتعلقة بعودة اليهود إلى فلسطين.

فبعد أن كانت هذه الأفكار تحمل الطابع الدينى البحت، تسربت إليها الأفكار السياسية، حيث أصبح للقوى الأرضية دور يجب عليها أن تقوم به لكى تعيد اليهود إلى فلسطين، هذا التدخل الذى كان مرفوضاً قبل ذلك حتى من اليهود أنفسهم الذين كانوا يرون أن عودتهم إلى أرض فلسطين لابد وأن تتم بتدخل قوة إلهية. وربما كانت جماعة حراس المعبد (ناطورى كارتا) من الجماعات القليلة التى بقيت محافظة على هذه العقيدة، حيث ترى هذه الجماعة «أن دولة إسرائيل هى ثمرة الغطرسة الآثمة للكافرين العلمانيين من أتباع الحركة الصهيونية الذين تحدوا مشيئة الرب بإنشاء الدولة دون انتظار تدخله على شكل معجزة وظهور المسيح المخلص الذى يعتبر فى نظرهم الوحيد القادر على إقامة دولة إسرائيل لتكون مملكة للكهنة والقديسين» [١٠].

كما أن فكرة تحول اليهود إلى المسيحية كأمر لازم لعودتهم إلي أرض فلسطين لم تعد ضرورية، ففى عام ١٨٠٠م نشر جيمس بيشنو ـ وهو من المؤمنين بالعصر الألفى السعيد ـ كتابه (عودة اليهود أزمة جميع الأمم) والذى إعتبر فيه عودة اليهود إلى فلسطين قضية دولية بالإضافة إلى أنه لم يربط عودتهم بتحولهم إلى المسيحية كما كان سائداً قبل ذلك [١١] حيث أصبح الاعتقاد السائد بأن اليهود سيدخلون المسيحية بظهور المسيح المنتظر الذى سينقذهم من أعدائهم.

اللورد شافتسبرى:.

حمل القرن التاسع عشر تطوراً بارزاً فى طبيعة (حركة العودة)، حيث ظهرت جماعات برّوتستانتة تعتبر عودة اليهود إلى أرض أجدادهم ركناً أساسياً فى عقيدتها.

ففى هذا القرن شهدت إنجلترا نهضة دينية جديدة مشابهة فى مبادئها ومعتقداتها لتلك التى كانت سائدة فى عهد الثورة البوريتانية، وكان من أبرز ممثلى هذه الفترة اللورد شافتسبرى الذى كان مؤمناً بضرورة قيام دولة يهودية فى فلسطين تحقيقاً للنبوءات التوراتية.

فقد نشر فى عام ١٨٣٩م مقالاً فى إحدى الصحف، لخص فيه فكرته عن العودة اليهودية، التى تقوم على أساس تدخل البشر لتحقيق نبوءات العهد القديم المتعلقة بعودة اليهود إلى فلسطين. كما «تقدم اللورد شافتيسبرى بمشروع إلى وزارة الخارجية البريطانية لاستيطان اليهود فى فلسطين، على أن يخضعوا للحكم القائم فى البلاد، وطالب بضمانات من الدول الأربع الكبرى.

ولكن لم ينجح مشروع شافتيسبرى، غير أن صاحبه لم يعرف اليأس، وانتظر مناسبة أخرى، فلما كانت حرب القرم بين العثمانيين والروس على وشك الوقوع سنة ١٨٥٤، سجل فى مذكراته أن المنطقة فى غليان، وأنها مقبلة على تغيرات، وأن عدداً كبيراً من المناطق سيصبح بلا حكام ولما تساءل عن القوة التى يمكن إعطاؤها فلسطين، وهل ستكون أمريكا أم إحدى دول الشرق؟ رد على تساوله بنفسه وفى مذكراته، كالآتى: «لا. لا. لا. هناك بلد بلا شعب، والله يوجهنا الآن بحكمته ورحمته نحو شعب بلا وطن وقد تبنى الصهاينة فيما بعد هذه الجملة، واصبحت من أول الشعارات الصهيونية، كالآتى: «أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض» (١٢).

وقد كان شافتسبرى يعتقد أن فلسطين بلد مهجور من السكان، حيث كان كغيره من المتدينين البروتستانت الذين» نظروا إلى فلسطين من زاوية أنها أرض التوراة وعهد التوراة، وما رأوا فيها شيئا غير ذلك حيث إنهم أرادوا بعث الماضى حياً أمام أعينهم، وهذا ما دعاهم، بوعى منهم وبلا وعى، إلى إغماض عيونهم عن كل ما لا يريدون رؤيته» (١٣).

لهذا قام شافتسبرى بتأسيس صندوق استكشاف فلسطين فى عام ١٨٦٥م حيث قال فى الخطاب الافتتاحى الذى ألقاه بمناسبة تعيينه رئيساً للصندوق: «دعونا لا نتأخر

فى إرسال أفضل العلماء لتنقيب طول فلسطين وعرضها ولمسح الأرض وتغطية كل زاوية فيها إذا أمكن، ولتجفيفها وقياسها، أى إذا شئتم لإعدادها من إجل عودة مالكيها القدماء. إذ ينبغى علىّ أن أعتقد بأنه لن يطول الزمن كثيراً قبل أن يقع هذا الحدث العظيم» (١٤).

واعتقاد شافتسبرى وغيره عن أرض فلسطين بأنها أرض خالية، يخالف الواقع الذى يحاول الصهاينة طمسه لأغراض دعائية. فهذا السير مونتفيور ـ وهو من المؤمنين بضرورة إعادة اليهود إلى أرض فلسطين ـ والذى زار منطقة صفد فى عام ١٨٣٩م يقول: «إنه رأى مساحات من أشجار الزيتون عمرها على ما أعتقد يزيد على ٥٠ سنة، وكروماً ومراعى شاسعة وآباراً كثيرة، وكذلك التين والبندق والليمون، والتوت وغيرها. إلخ.. وحقولاً غنية بالقمح والشعير والعدس» (١٥).

ولكن شافتسبرى وغيره أرادوا من خلال زعمهم السابق، إقناع الحكومة الإنجليزية والشعب الإنجليزى بالدرجة الأولى، بوجوب الإسراع بتوطين اليهود فى فلسطين والإعداد لذلك عن طريق إنشاء مزيد من الجمعيات والمنظمات التى تقوم بإجراء الأبحاث والدراسات حول فلسطين.

وفعلاً فقد شهد القرن التاسع عشر زيادة كبيرة فى عدد الجمعيات والمنظمات التى تدعى أنها تهدف إلى استكشاف فلسطين وتطويرها، وكأن هذه الأرض خالية من السكان!!

ومما يجدر ذكره أن فلسطين تعرضت منذ أواخر القرن الخامس عشر «كغيرها من بلاد المشرق الغنى بتاريخه وآثاره، لرحلات متعددة قام بها رحالة وعلماء أجانب، أفراد وجماعات. إلا أن فلسطين قد لاقت ـ من دون سائر بلاد الشرق ـ إهتماماً خاصاً، لكونها أرض التوراة ومهد المسيح، فتوجهت إليها أنظار اللاهوتيين والعلماء لدراسة أرضها وتربتها ومناخها وآثارها، وللتنقيب عن أى أثر أو دليل يعود إلى العهد التوراتى (١٦)» حيث كانت الدوافع الدينية ـ أحيانا ـ وحدها البارزة وراء البعثات الاستكشافية. ومن أبرز الأمثلة، الأمريكى ادوارد روبنسون الذى ابتدأ يعمل مع تلميذه

وصديقه إيلي سميث في منطقة القدس منذ سنة ١٨٣٨ . وقد اعترف منافسه السويسرى تيتس توبلر بأن أعمال روبنسون، في جغرافية فلسطين، تتجاوز في أهميتها أعمال السابقين جميعاً أما الكابتن ويلسون، وهو الذى كان من المتطوعين الأوائل من سنة ١٨٦٦ لعمليات المسح في القدس وضواحيها، فقد كان يعلن أمام الجميع العطف الكبير الذى كان يحمله دوماً لاستيطان اليهود في فلسطين.

كذلك كان يعلن زميله كيتشنر صراحة أن عمله في فلسطين ليس كباحث آثار فقط وإنما كرجل سياسى أيضا، لذلك، فهو يتفحص البلاد أرضها وتربتها تمهيدا لـ «الاستيطان اليهودى وللمستقبل المشرق الذى يبدو أن فجره سوف يطل على هذه الأرض».

ويبقى الاسم الأول البارز بين هولاء اسم الكابتن كلود كوندر (١٨٤٨ ـ ١٩١٠)، ويعود ذلك إلى حماسته الصهيونية التى لاحد لها، وإلى العمل الذى قام به، برسم خريطة مفصلة تشمل فلسطين كلها، وقد سميت حينئذ فلسطين الغربية. أما فلسطين الشرقية (الأردن حاليا) فقد كانت هى الأخرى هدفاً للاستيطان اليهودى، وكانت مهمة كوندر الأساسية أن يضع على الخريطة الأماكن التوراتية، وأن يرسم الحدود لقبائل بنى إسرائيل الاثنى عشر.

وقد أتاح هذا العمل الفرصة لكوندر كى يتعرف على فلسطين أكثر من غيره. وقد نشر العديد من الكتب والمقالات عن تاريخ فلسطين وحاضرها ومستقبلها ، فكان أكثر بريطانى «صهيونى» إنتاجاً. وهوالذى وصفه المورخ اليهودى سو كولوف بأنه أفضل عالم وخبير بفلسطين فى عصره. وحين أعلن هرتزل قيام «الصهيونية» رسميا فى بازل، كان كوندر من أوائل الذين اعتنقوها. كما أنه وافق فوراً على خطة لورانس أوليفانت باستيطان اليهود أرض جلعاد، شرقى الأردن، وقدم له خبرته فى شئون الأرض والناس»[١٧].

وهكذا مهدت أعمال بعثة (صندوق استكشاف فلسطين) الذى أنشأه شافتسبرى، بالإضافة إلى شهادات الرحالة والعلماء وكتاباتهم، دربا «واضح المعالم للصهيونية السياسية، كما ساهمت فى زرع فكرة (فلسطين الكبرى) التى أصبحت (إسرائيل الكبرى)» [١٨].

وبالرغم من أن شافتسبرى كان من أبرز المهتمين بعودة اليهود إلى أرض فلسطين فى القرن التاسع عشر، إلا أن هناك كثيرا من ذوى المكانة والنفوذ عملوا جادين لتحقيق هذا الهدف. فقد كان هناك نبلاء بريطانيون وعلى رأسهم دوق كنت وكثير من أعضاء مجلس اللوردات، بالإضافة إلى أدباء وشعراء عبّروا عن عطفهم وإعجابهم بالشعب اليهودى ودعوه للعودة إلى أرضه فى فلسطين؟

«فلم يكن شافتسبرى ـ بحماسته اللامحددوة ـ نسيجاً وحده، بل كان واحداً من مجموعة من كبار الإنكليز اللذين صرفوا جل إهتمامهم وعملهم، فى العقدين الخامس والسادس من القرن التاسع عشر، من أجل إعادة اليهود إلى فلسطين. ومن هؤلاء البارزين الكولونيل تشارلز هنرى تشرشل الذى كان قنصلاً سابقاً لبريطانيا فى دمشق، فقد كان من كبار المتحمسين للدولة اليهودية، ومن المومنين بأن مهمة بريطانيا التاريخية أن تقود اليهود المعذبين فى عودتهم الى وطنهم الأصلى.

فقد بعث الكولونيل تشرشل برسالة إلى السير موسى مونتفيورى أحد اقطاب اليهود الأثرياء، يناشده فيها زن يأخذ اليهود قضيتهم على عاتقهم، وهذا أمر لابد منه، إذ تبقى لليهود خطوة البداية. وليتقدم الحركة الأشخاص اليهود البارزون فى مجتمعهم. فليجتمعوا، وليتفقوا وليقدموا العرائض.

وقد فاقت حماسة تشرشل الإنكليزى عشرات المرات حماسة اليهود الذين كان يخاطبهم. فقد كانت أقصى ردة، لمونتفيورى على حماسة تشرشل، أنه اكتفى ذات مرة باعطائة مبلغاً من المال كيى يوزعه على فقراء اليهود لدى عودته إلى الشرق، أما ردة فعل مجلس ممثلى اليهود فى لندن، على رسالة مماثلة، فقد كانت فى منتهى البرودة والحذر، وتذرع المجلس بضرورة استشارة اليهود فى كل أوروبا» (١٩).

«أمّا الكولونيل جورج غولير، الحاكم البريطانى السابق فى جنوب استراليا، فقد كان يعتبر أبرز هولاء المنادين بعودة اليهود، مع مساعدة بريطانيا، فمنذ عودته من استراليا إلى بلده، كرس نشاطه للمسألة اليهودية، وقد تفوق على رفاقه لكونه خبيراً بالادارة، وخبيراً بالاستعمار ووسائله. يقول فى تقديمه لمشروعه الصهيونى:

«إننى بفضل العناية الإلهية.. تمكنت من تأسيس أروع مستعمرة ظهرت حتى الآن

في العالم كله. ولذلك فإننى اطمح جاداً إلى أن أصبح مستشاراً فى شأن تأسيس أهم مستعمرة يمكن للعالم أن يشهدها ـ أول مستعمرة يهودية فى فلسطين» (٢٠).

اليهود فى الأدب الإنجليزى:-

انعكس التعاطف مع اليهود وآمالهم فى العودة إلى فلسطين على الأدب الإنجليزى كما أشرنا سابقا». حيث أصبح أنبياء اليهود يحتلون بالتدريج مكانة الأبطال اليونان الكلاسيكيين فى عالم الأدب الغربى وحتى اليهود باتوا يصورون كشخصيات متميزة. وجاءت مرحلة حل الأدب فيها مكان النهج الدينى، ولمعت أسماء عديدة من الشعراء والأدباء الذين انصرفت أقلامهم إلى وصف الشخصيات والصفات اليهودية. وقد فاقت حماسة البعض منهم فى تأييده عودة اليهود إلى فلسطين، كل تصور.

فحتى بداية القرن التاسع عشر كان اليهودى يصور فى القصص الإنجليزى إمّا على صورة (شايلوك) أو (اليهودى التائه)، غير أن روايتى (هارنغتون) ١٨١٧ لماريا ادجورت، و(ايفنهو) ١٨١١، للسير والتر سكوت قدمتا مفهوماً جديداً لليهودى بإبرازه على أنه شخصية طيبة. لقد وجدت ثمة بادرة عابرة حملت بذرة هذا التغيير فى رواية طوباياس كوليت (مغامرات فرديناند كونت فادم ـ ١٧٥٣) التى قدمت ميتاسا على أنه إسرائيلى سخى يمارس فعل الخير مع كلٍ من اليهود والأميين بطريقة سوية» (٢١).

لقد ساهم فى هذا التغيير عدد من الشعراء الكبار أمثال جون ملتون، وكوليريدج، واللورد بايرون، ووليام بياليك، ووليام وردزوورت، وروبرت براونينغ. وكان من الروائيين والترسكوت الذى ابتدع شخصية ريبكا فى روايته الشهيرة «آيفنهو» وإسكندر دوماس الابن الذى نادى بلسان إحدى بطلاته المسرحيات بوطن دائم للشعب اليهودى. أمّا دزرائيلى، الذى أصبح رئيسا للوزراء فى بريطانيا، فقد ألف العديد من الروايات، تضمنت اثنتان منها، محتوى سياسياً صهيونياً واضحاً. وقد كان دزرائيلى من كبار المتحمسين للصهيونية» (٢٢).

وعندما جاء النصف الثانى من القرن التاسع عشر تبنى كلٍ من روبرت براونينج وجورج اليوت، قضية عودة اليهود إلى فلسطين. فقد جاء فى قصيدة براونينج (يوم الصليب المقدس) عام ١٨٥٥ قوله:

سيرحم الله يعقوب

وسيرى إسرائيل فى حماه

عندما ترى يهودا القدس

سينضم الغرباء

وسيتشبث المسيحيون ببيت يعقوب

هكذا قال النبى وهكذا يعتقد الأنبياء.[٢٣]

أما جورج اليوت، فقد كتبت فى عام ١٨٧٤ رواية دانيال ديروندا، حيث تعتبر هذه الرواية أول رواية صهيونية ـ ولو جزئياً ـ فى تاريخ الأدب الإنجليزى. «وقد إعتبرت (انسيكلوبيديا الصهيونية وإسرائيل) أن رواية دانيال ديروندا كانت مقدمة أدبية لوعد بلفور»[٢٤] فإمكانية وجود أنبياء وقادة بين اليهود على غرار العهد القديم، تبدو واضحة فيها، وكذلك تظهر الشخصية اليهودية والتراث اليهودى فى أعلى مجدها وشاعريتها. كما أن هدف إنشاء جمهورية يهودية بحتة مرسوم ليس فقط كإمكانية وانما كواجب»[٢٥] فالكاتبة جعلت من دانيال بطلاً صهيونياً يكتشف بنفسه قوميته وإرثه اليهودى.

يقول ديروندا بعد لقائه بموردخاى: «إن الفكرة التى تتمكن منّى هى إستعادة وجود سياسى لشعبى، جعلهم أمة أخرى، إعطائهم مركزاً قومياً، مثلما للإنجليز. إنها مهمة تتقدم إلى كواجب... وأنا مصمم على تكريس حياتى لها، على الأقل قد أتمكن من إيقاظ حركة فى العقول الأخرى مثلما أوقظت فى عقلى»[٢٦].

إن قضية عودة اليهود إلى فلسطين والتى سيطرت على عقول الأدباء والمفكرين البروتستانت، إختصرها اللورد بايون فى بيتين من الشعر، حيث قال:

للحمامة البرية عشها، للثعب كهفه، للإنسان وطنه

إلا إسرائيل فليس لها غير الموت[٢٧].

السياسيون والبعث اليهودى:ـ

بالإضافة إلى هذا الاهتمام بالبعث اليهودى من قبل رجال الدين والأدباء والذى

كان مبنياً على أسس دينية، برز اهتمام آخر فى القرن التاسع عشر، اصطبغ بالصبغة السياسية، حيث أصبح الوجود اليهودى فى فلسطين له أهمية سياسية بالنسبة لإنجلترا لكى تستطيع حماية مستعمراتها فيما وراء البحار، وأصبحت السلطتان الدينية والدنيوية تتاجران بضرورة عودة اليهود إلى فلسطين.

وهكذا تم خلال هذا القرن ربط الأفكار الدينية مع المتطلبات السياسية للإمبراطورية البريطانية، ومنذ ذلك الحين بدأ ما وصفه دافيد بولك «بالاتحاد العجيب بين السياسة الإمبراطورية ونوع من الصهيونية المسيحية الأبدية التى تتجلى فى السياسة البريطانية فيما بعد» (٢٨).

فقد كانت سياسة بريطانيا تجاه فلسطين فى هذاالوقت، تغذيها عدة عوامل أهمها:

١ـ محاولتها الحفاظ على ميزان القوى فى أوروبا.

٢ـ تأمين تجارتها مع الهند المهددة من فرنسا وروسيا.

٣ـ الحد من طموحات محمد على فى توسيع دولته.

كما أن بريطانيا كانت مهتمة بالشرق الأوسط وبخاصة فلسطين لأهميتها الإستراتيجية للإمبراطورية البريطانية. ولذلك سعت لكى توجد لها موطئ قدم فى هذه المنطقة الإستراتيجية، فكانت بحاجة إلى من تحميه فى هذه المنطقة ليرعى مصالحها، وليكون ذريعة لتدخلها فى المنطقة عندما تجد أن هذه المصالح فى خطر.

فقد كانت فرنسا تتمتع بنفوذ فى المنطقة بإعتبارها حامية المسيحيين الكاثوليك، وكانت روسيا قد حصلت على حق حماية مصالح الرعايا الأرثوذكس. لهذا سعت بريطانيا للتحالف مع الدولة العثمانية ودعمها لكبح جماح الأطماع التوسعية الروسية والفرنسية، وأطماع محمد على فى بلاد الشام. وقد كانت بريطانيا تعتقد أن توطين اليهود فى فلسطين هو الذى يمكن أن يحقق هذا الهدف.

اللورد بالمستون:

عندما تولى اللورد بالمستون وزارة الخارجية فى عام ١٨٣٠ كان أهم نصير سياسى لمشروع اللورد شافتسبرى الخاص بإعادة اليهود إلى فلسطين، هذا بالرغم من أنه لم

يكن بروتستانتياً مؤمناً ولم يكن من الرجال الذين تؤثر فيهم الأفكَار الدينية. إلا أنه كان سياسياً محنكاً، حيث أدرك ما فعلته الأفكار البروتستانتية المتعلقة بعودة اليهود إلى أرض فلسطين، من آثار فى الرأى العام البريطانى. ولذلك كانت خطوته الأولى افتتاح قنصلية بريطانية فى القدس فى عام ١٨٣٨ بناءً على إلحاح اللورد شافتسبرى، وقد كانت تعليمات بالمستون للقنصل الجديد تنص على أن من بين مهامه حماية كل اليهود المقيمين فى فلسطين. وقد قام اللورد شافتسبرى بوداع القنصل الجديد حيث عبر فى مذكراته الخاصة بالمناسبة، عن أمله بأن يأتى اليوم الذى ستحفر فيه فلسطين وتنقب، ويومذاك «تبرهن الأرض المقدسة على مصداقية التوراة وصحتها» (٢٩).

لقد كان بالمستون يرى أن استيطان اليهود فى فلسطين سيحقق للمصالح البريطانية مكسبين:

الأول: إرضاء الرأى العام البريطانى المتدين الذى يتشوق إلى إعادة اليهود إلى فلسطين، مما سيساهم فى إيجاد مجموعة موالية لبريطانيا فى منطقة ليس لها فيها من يواليها.

الثانى: أن استيطان اليهود فى فلسطين، وتدفق أموالهم إليها، سيدعم تركيا المنهارة والتى سعى بالمستون إلى تجديد شبابها لكى تستطيع الوقوف فى وجه الأطماع الروسية والفرنسية من جهة، ومحاولات محمد على الاستيلاء على بلاد الشام من جهة أخرى.

وقد حاول بالمستون استغلال النفوذ البريطانى لدى الباب العالى على أثر التدخل الإنجليزى الناجح ضد حملة إبراهيم باشا فى بلاد الشام ـ هذا التدخل الذى أدّى إلى فشل هذه الحملة ـ أراد بالمستون استغلال هذا النفوذ لكى يحث السلطان على القيام بعمل ملموس لتوطين اليهود فى فلسطين. ففى عام ١٨٤٠ وجه بالمستوى رسالة إلى السفير الإنجليزى فى القسطنطينية قال فيها:

«لا تتوانَ عن متابعة نصحى للباب العالى بدعوة اليهود للعودة إلى فلسطين. إنك لا تدرى مدى ما سيثيره مثل هذا الإجراء من إهتمام المتدينين فى هذا البلد بقضية السلطان. إن نفوذهم كبير واتصالاتهم واسعة، فضلاً عن ذلك، فإن هذا الإجراء فى

حد ذاته سيكون ذا فائدة كبيرة للسلطان، إذ سيجلب إلى ملكه عدداً كبيراً من الأثرياء الرأسماليين الذين سيوظفون الناس ويثرون الإمبراطورية» [٣٠].

وهكذا نرى أن بالمستون كان مدفوعاً لتوطين اليهود فى فلسطين بدافع دينى - لإرضاء الرأى العام المتدين، صاحب النفوذ - وبدافع سياسى. فبالمستون لم يكن بوسعه أن يهمل ضغوط الرأى العام البريطانى الذى يويد اقامة دولة يهودية فى فلسطين.

«ففى عام ١٨٣٩ تلقى بالمستون مذكرة من هنرى اسن، سكرتير البحرية البريطانية، رفعها نيابة عن الكثيرين ممن ينتظرون تحرير إسرائيل. وكانت المذكرة موجهة إلى كل دول شمال أوروبا وأمريكا البروتستانتية، وتطالب الحكام الأوربيين بأن يقتدوا بقورش وينفذوا إرادة الله عن طريق السماح لليهود بالعودة إلى فلسطين. وقد قام بالمستون برفع المذكرة إلى الملكة فكتوريا التى كانت معروفة بورعها» [٣١].

ولم يكن بالمستون، الوحيد فى وزارة الخارجية، المؤمن بأهمية توطين اليهود فى فلسطين من الناحيتين السياسية والدينية، بل إن هناك الكثيرين غيره كانوا يوافقونه وجهة النظر هذه، أمثال إدوارد متفورد ولورانس اوليفرنت وغيرهما.

القس وليام هشلر:-

كان القس هشلر، الذى كان يعمل ملحقاً فى السفارة البريطانية فى فينا، من أكثر المتحمسين لفكرة إعادة اليهود إلى فلسطين فى نهاية القرن التاسع عشر «فقد قام فى عام ١٨٨٢ بعقد مؤتمر مسيحى فى لندن، دعا إليه كبار المسيحيين للنظر فى توطين اليهود المهاجرين من رومانيا وروسيا فى فلسطين» [٣٢].

وقد زار هشلر فلسطين أكثر من مرة وألف فى عام ١٨٩٤ كتابا بعنوان (إعادة اليهود إلى فلسطين حسب نبوءات الأنبياء) حيث توصل فيه من خلال بعض الحسابات إلى أن اليهود سيعر ـن إلى فلسطين فى عام ١٨٩٧ - ١٨٩٨. كما أن القس هشلر نشر مقالاً فى العدد الأول من صحيفة (دى فلت) اليهودية، اختتمه بقوله:

«أفيقوا يا أبناء إبراهيم، فالله ذاته الأب السماوى، يدعو كم إلى الرجوع إلى وطنكم القديم» [٣٣].

وأثناء عمل هشلر فى السفارة البريطانية فى فيينا، قدم له أحد أصدقائه كتاب (الدولة اليهودية لهرتزل) فلم يكد هشلر يفرغ من قراءة الكتاب حتى هرع إلى سفير بلاده قائلاً:

«إن الحركة التى قدرها الله من قبل قد جاءت» (٣٤) يقصد الحركة الصهيونية ـ وبعد قراءته الكتاب طلب عقد لقاء مع هرتزل، حيث إستطاع هرتزل بفضل هذا اللقاء، مقابلة قيصر ألمانيا، والذى كان يأمل منه أن يستغل نفوذه لدى الباب العالى ليقنعه بتوطين اليهود فى فلسطين، ولكن هذا المسعى لم ينجح بسبب رفض السلطان عبد الحميد لذلك.

الهوامش

١ـ فلسطين، القضية ـ الشعب الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص ٢٩٢ .

٢ـ فلسطين، القضية ـ الشعب الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص ٢٩٢ .

٣ـ فلسطين، القضية ـ الشعب الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص ٢٨٧ .

٤ـ الصهيونية والصراع الطبقى ـ د. ريجينا الشريف ـ ص ٥٣ :

٥ـ الصهيونية والصراع الطبقى ـ د. صادق جلال العظم ـ ص٥٤ .

٦ـ فلسطين، القضية * الشعب * الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ٢٨٧ .

٧ـ فلسطين، القضية ـ الشعب ـ الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص ٢٨٨

٨ـ الصهيونية غير اليهودية ـ د. ريجينا الشريف ـ ص ٧٣ .

٩ـ المصدر السابق ـ ص٧٩ .

١٠ـ أزمة الفكر الصهيونى ـ د. محمد ربيع ـ ص ٨٠.

١١ـ الصهيونية غير اليهودية ـ د. ريجينا الشريف ـ ص ٨٧

١٢ـ فلسطين، القضية ـ الشعب ـ الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ٢٩٥ .

١٣ـ فلسطين، القضية ـ الشعب ـ الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص ٣٠٩ .

١٤ـ الصهيونية والصراع الطبقى ـ صادق جلال العظم ـ ص٨٧ .

١٥ـ تيودور هرتزل عراب الحركة الصهيونية ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ ص ٩٤ .

١٦ـ فلسطين، القضية ـ الشعب ـ الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص٣٠١ .

١٧ـ المصدر السابق ـ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٥ .

١٨ـ المصدر السابق ص ٣٠٥ .

١٩ـ المصدر السابق ص ٢٩٨ .

٢١ـ الشخصية اليهودية فى الأدب الإنجليزى ـ د. هانى الراهب ـ ص٥ .

٢٢ـ الصهيونية غير اليهودية ـ د. ريجينا الشريف ـ ٩٧ .

٢٣ـ فلسطين، القضية * الشعب * الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص٢٩٠ .

٢٤ـ الشخصية اليهودية فى الأدب الإنجليزى ـ د. هانى الراهب ـ ص٥٣ .

٢٥ـ المصدر السابق ـ ٧١.

٢٦ـ فلسطين، القضية * الشعب* الحضارة ـ بيان نويهض

٢٧ـ المصدر السابق ـ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

٢٨ ـ إفلاس النظرية الصهيونية ـ نصر شمالى ـ ص٨١.

٢٩ـ فلسطين، القضية * الشعب* الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص ٣٠٢.

٣٠ـ الصهيونية غير اليهودية ـ د. ريجينا الشريف ـ ١٢٤.

٣١ـ المصدر السابق ـ ص١٢١.

٣٢ـ فلسطين، القضية ـ الشعب الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص ٣٠١

٣٣ـ الاستعمار وفلسطين ـ رفيق النتشة ـ ص١٦٩.

٣٤ـ تيودور هرتزل عراب الحركة الصهيونية ـ ص ٤٩.

الفصل الثالث

ظهور الحركة الصهيونية

يعزو معظم الكتاب والمحللين ـ المهتمين بالقضية الفلسطينية ـ للحركة الصهيونية، القيام بالدور الأساسى فى إقامة دولة إسرائيل، ويضفون على زعماء هذه الحركة هالة من العبقرية والدهاء والقدرة على المناورة واستغلال الفرص، واستعمال وسائل الضغط المختلفة على الحكومات وصانعى القرار، من خلال ما يقال عن سيطرة اليهود على الاقتصاد العالمى.

فقد احتلت الكتابات والدراسات المتعلقة بالحركة الصهيونية حيزاً كبيراً فى الأدبيات العربية خلال القرن الحالى، ولكنها جميعاً لم تستطع وضع هذه الحركة فى حجمها الطبيعى، وبيان دورها الحقيقى فى قيام إسرائيل، والذى لم يكن فى أحسن الأحوال إلا كصدى للأفكار التى انتشرت بين المسيحيين البروتستانت.

ولذلك فإنه ليس من المغالاة فى شىء القول إن الصهيونية غير اليهودية كانت قد انتشرت فى أوروبا، ووصلت فكرا «وتخطيطا» إلى أعلى مراحل الصهيونية ـ أى مشروع الدولة ـ بينما كان اليهود أنفسهم، سواء فى أوروبا الغربية أو أوروبا الشرقية، لا يزالون خارج النشاطات الصهيونية. وفى الكثير من الاحيان كانوا يقفون ضدها، كان بعضهم لا يستوعبها عقلياً، وبعضهم يرفضها دينيا أو نفسيا، وبعضهم لم يسمع بها بعد.ويمكن القول، بصورة عامة، إن اليهود كانوا آخر من اكتشف الصهيونية فى أوروبا» (١).

وقد لاحظنا من خلال العرض السابق كيف أن المسيحيين البروتستانت بدأوا يطالبون بإعادة اليهود إلى فلسطين منذ القرن السادس عشر، ولم يتركوا وسيلة لتحقيق ذلك، من خلال عقد اللقاءات وطرح المشاريع على رجال الدولة، والقيام برحلات استكشافية لدراسة فلسطين وتهيئتها لعودة اليهود إليها، هذا فى حين كان اليهود آخر من يفكر فى هذا الأمر.

ويعود السبب فى إحجام اليهود عن المشاركة والتجاوب مع هذه الدعوات إلى أن «اليهود المتدينون يبنون آمال المستقبل من العبرة بالماضى، فهم يفسرون التوراة، بأن الاسرائيليين القدماء أضاعوا الأرض المقدسة بسبب ارتكابهم المعاصى ضد الآخرين، وبسبب تخليهم عن إلههم الواحد من أجل آلهة أخرى. واليهودية فى جوهرها دين ميثاق وعهد وإن اختلف هذا العهد من جيل إلى جيل، فهو دائما يبقى عقدا بين الشعب والله. فالله وعدهم بالأرض وبأن يعيشوا فيها عيشة ازدهار، لكن فى مقابل ذلك، على اليهود من جانبهم أن يقوموا بتنفيذ الشروط الخلقية والمبدئية للعهد، كما يشرحها أنبياء الله فى كل عصر.

الله وحده اذاً هو الذى يحكم على سلوك أبنائه اليهود، وهو وحده الذى يرى ـ فى مرحلة ما ـ أنهم قد وصلوا الى حد المثالية الخلقية، مما يستدعى تصحيح العهد، فيرسل لهم مسيحاً ليخلصهم من الشتات، ويعيدهم إلى الأرض المقدسة» (٢).

كانت هذه هى النظرة التى حكمت تفكير اليهود منذ تدمير الهيكل للمرة الثانية وحتى بداية القرن التاسع عشر، حيث التزموا بهذه الرؤية الدينية طوال هذه الفترة لم يبذلوا أى جهد فى سبيل العودة إلى فلسطين، وظلوا ينتظرون المسيح المنتظر لكى يخلصهم ويعيدهم إلى فلسطين بمعجزة إلهية، لهذا كانت تظهر بين الفترة والأخرى دعوات من بعض اليهود الذين يدعون أنهم المسيح المنتظر، فيلتف حولهم اليهود ويعقدون عليهم الآمال ولكن سرعان ما يتضح كذب دعواتهم فتنتهى هذه الدعوات بمقتل صاحبها أو تراجعه عن دعوته.

وقد ظهرت آخر هذه الدعوات فى عام ١٦٤٨ عندما ظهر شاب يهودى يدعى (سافتاى زيفى) من ازمير بتركيا لم يتجاوزعمره الثانية والعشرين، حيث أعلن أنه المسيح المنتظر. وما أن أعلن دعوته حتى تبعه عدد كبير من اليهود المتحمسين، واستمر فى نشر دعوته فى الأوساط الدينية اليهودية فى العالم، فصار له أعوان كثيرون. وفى سنة ١٦٦٦ غادر ازمير مع جمهور من أعوانه متجها نحو استنبول لممارسة سلطته كملك، ولكن الباخرة التى كانت تقله مع أعوانه داهمتها عاصفة شديدة اضطرتها إلى

اللجوء إلى مضايق الدردنيل، ومن هناك سيق مكبلاً بالحديد إلى استنبول، فسجن، إلا أن سجنه زاد من الإقبال على دعوته، فأمر السلطان محمد الرابع بنقله إلى سجن ادرنه، وأقنعه بالعدول عن دعوته بعد أن تحداه أن يمنع طلقات الرصاص من اختراق جسده، فما كان من (سبتاى زيفى) إلا أن إدّعى الإسلام وغير اسمه إلى (محمد افندى) . (٣).

هكذا كان حال اليهود طوال تاريخهم الطويل، وبناء على هذه الصهيونية المسيانيةالمتدينة (إن جاز التعبير)، لا يوجد سبب على الأرض ـ مهما تكن أهميته ـ يستدعى العودة إلى صهيون، إلا أن يكون السبب هو الأمر الإلهى. فالعودة مرتبطة بسلطة الله التى لا تناقش. ولذلك فالصهاينة المتدينون يتهمون، كل من نادى بالعودة إلى فلسطين بدون انتظار عودة المسيح المنتظر، بالهرطقة، أى الكفر. ومن هنا تختلف هذه الصهيونية الدينية، عن الصهيونية السياسية التى قرر رجالها فى مؤتمر بازل سنة ١٨٩٧ العودة إلى الأرض المقدسة، ولم ينتظروا المعجزة الالهية. فالصهاينة المتدينون لايرون فى أى مؤتمر سياسى طريقا للعودة، وهم، أكثر من ذلك، لايرون حتى فى عذاب الهولوكوست ومعسكرات النازية سببا للعودة. فالعودة إن لم تقترن بالإرادة الإلهية، بقدوم المسيح الجديد، هى عودة باطلة» (٤).

ولقد رأينا كيف أن اليهود أنفسهم أحجموا عن المشاركة فى تأييد أو دعم دعوات المتدينين البروتستانت لهم من أجل العودة إلى أرض فلسطين، حيث كانت هذه المشكلة من أشد الصعاب التى واجهها الصهاينة غير اليهود (البروتستانت) . ولكن مع بدايات القرن التاسع عشر، ولأسباب كثيرة أهمها، تنامى التيار المسيحى البروتستانتى الداعم لأمانى اليهود بالعودة إلى فلسطين، بالإضافة إلى ازدياد اضطهاد اليهود فى أوروبا، ظهر عدد من المفكرين اليهود الذين نشروا العديد من الكتابات التى هاجمت الأفكار التقليدية التى ترى بأن الخلاص لن يتم إلامن خلال معجزة إلهية على يد المسيح المخلص، حيث نادى هؤلاء المفكرون بضرورة تحرك اليهود من أجل تحقيق حلم العودة إلى أرض فلسطين من خلال العمل واستغلال كافة العوامل التى تخدمهم فى هذا المجال.

وبذلك كان هؤلاء المفكرون من أمثال الكعى وكاليشتر وغيرهما، هم الدعاة الأوائل الذين مهدوا الطريق أمام ظهور الحركة الصهيونية على يد هرتزل. لهذا فإن الكثيرين يعتبرون أن الحركة الصهيونية المتعارف عليها الآن وكما دعا هرتزل إليها فى مؤتمر بازل سنة ١٨٩٧ ، هى الوارث الشرعى لعدد من النداءات والدعوات الفكرية التى ابتدأت تظهر فى أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر، لكنها لم تجد تجاوبا ـ ولو محدودا ـ إلا مع بداية الستينيات وهذا فضلا عن أن بعض النداءات والمؤلفات لم تكن لتجد الحد الأدنى من الانتشار والشهرة ـ حتى بين اليهود أنفسهم. ومع ذلك، فإنها فى مجموعها مقدمة مهمة لمعرفة الصهيونية، فكراً وحركة سياسية يهودية» (٥)

ففى ستينيات القرن التاسع عشر، أضحى العامل المشترك لدى الرواد الأوائل، أمثال الكعى، وكاليشتر وهس، اعتقادهم أن مستقبل الشعب اليهودى مشروط بعودته إلى وطنه التاريخى، وطالبوا بالعمل لتحقيق ذلك بدون انتظار عودة المسيح المخلص.

١ ـ يهودا الكعى (١٧٩٨ ـ ١٨٧٨)

كان الكعى غارقاً مثله مثل باقى اليهود، فى الغيبيات الدينية، لما انتشرت فى البلقان شائعة تقول إن سنة ١٨٤٠ ستكون سنة الخلاص. حيث تعلقّ معظم اليهود وخصوصا المتدينين منهم بهذه الشائعة ـ النبوءة.

وقبل موعد الخلاص بعام، أى فى سنة ١٨٣٩ ، نشر الكعى كتابا فى تعليم اللغة العبرية، دعا فيه اليهود إلى الاستغراق فى الصلاة تمهيداً لتحقيق النبوءة المسيانية، ثم اتبعه بكتاب ثان سنة ١٨٤٠ سماه «شلوم يروشالايم» حث فيه اليهود على دفع عشر مدخولاتهم لمساعدة يهود القدس.

ولكن لما فشلت النبوءة بعدم ظهور المسيح المخلص، ولما وقعت حادثة دمشق الشهيرة فى السنة نفسها، أى سنة ١٨٤٠ وهى الحادثة التى اتهم فيها اليهود بقتل المسيحيين واستنزاف دمهم ـ تخلى الكعى عن أنّ الغيبيات الدينية وسيلة وحيدة لخلاص اليهود، وبات يدعو إلى درب عملى، خصوصا بعد رؤيته أهمية تدخل القناصل والدول الأجنبية لوقف محاكمة اليهود فى دمشق، فكرس ما تبقى من حياته داعياً إلى

تخليص اليهود وعودتهم، بالصلاة والعمل. وقد نشر منذ سنة ١٨٤٣ سلسلة من الكتيبات والمقالات ركز فيها على أهمية الطلب من شعوب العالم كى تسمح لليهود بالعودة إلى وطنهم، كما طالب اليهود بدفع العشر من أجل العودة» (٦).

٢ ـ تسفى هيرش كاليشر (١٧٩٥ ـ ١٨٧٤)

أعلن منذ ١٨٣٢ أن استرداد صهيون يجب أن يبدأ بالعمل عليه من جانب اليهود أولاً، أما المعجزة المسيائية، بقدوم المسيح المنتظر، فتتبع ذلك. لهذا دعا الحاخام كاليشر اليهود للاعتماد على أنفسهم لأن خلاص بنى إسرائيل لا يمكن تصور حدوثه بواسطة معجزة «فالرب لن ينزل لقيادة شعبه، وهو لن يرسل المسيح من السماء لينفخ النفير ويجمع اليهود المشتتين للتوجه إلى اورشليم» (٧).

ثم نشر كاليشر أفكاره سنة ١٨٤٣ فى كتاب من جزءين بعنوان (عقيدة صادقة) ثم أكمل تصوره فى مجلد أخير نشره سنة ١٨٦٢ بعنوان (البحث عن صهيون) وهو أكثر كتبه شهرة. ومن أهم الأفكار التى جاء بها كاليشر.

١ـ أن خلاص اليهود كما تنبأ الأنبياء به، يمكن أن يتم بوسائل طبيعية، أى بمجهود اليهود أنفسهم، من دون أن يتطلب ذلك مجئ المسيح.

٢ـ أن الاستيطان فى فلسطين يجب أن يتم من دون تأخير.

ومما قاله فى شأن الخلاص: «إن خلاص إسرائيل لن يكون بمعجزة فجائية، والمسيح لن يرسل من السماء نافخاً فى بوقه الكبير، وجاعلاً جميع الناس يرتجفون... فالناس البلهاء فقط، يمكن أن يصدقوا هراء كهذا. أما العقلاء فيعرفون أن الخلاص لا يكون إلا بالتدريج، وهو فوق كل شيء لن يكون إلا نتيجة جهود اليهود أنفسهم. وإذا كانت القدرة الإلهية ستقوم بمعجزة، فأى مغفل لا يكون مستعداً، عندئذ للذهاب إلى فلسطين؟ أما أن يتخلى المرء عن بيته وماله من أجل المسيح المنتظر، فذاك هو الامتحان الحقيقى، وذاك هو التحدى» (٨).

وقد اتهم كاليشر بالهرطقة وقوبلت آراؤه، كما قوبلت آراء الكعى المماثلة، بعدم

التجاوب من قبل اليهود، إن لم يكن بالبرود، وذلك بسبب دعوتهما إلى الإسراع فى النهاية، وعدم انتظار المعجزة الإلهية، مما جعل اليهودية الأرثوذكسية تناصبهما العداء.

ليون بنسكر

كان بنسكر على غرار كاليشر وهس، يرفض الاعتماد على الإيمان الغيبى بالمسيح المنتظر، كما أنه قد وضع اللوم على الإيمان الغيبى بجعل اليهود يتخلفون عن الاهتمام بحريتهم القومية ووحدتهم واستقلالهم، مما جعلهم يغرقون إلى الأسفل، فالأسفل.[٩].

هرتزل ومؤتمر بازل

مع انتشار كتابات وأفكار المفكرين اليهود، أمثال الكعى وكاليشر وهس وبنسكر وغيرهم بين اليهود فى دول أوروبا، أصبح الجو مهيأ لتوحيد جهود المؤمنين بهذا النهج الجديد من خلال حركة يهودية عامة، حيث ابتدأ التحضير الجدى لعقد مؤتمر صهيونى مع مطلع سنة ١٨٩٧ . وكان مقرراً عقده فى ميونخ، ولكن لما أرسلت الدعوات الرسمية، غضب اليهود الغربيون وأعلنوا سخطهم على المؤتمر واعتبرته الصحافة الألمانية اليهودية خيانة، كما أعلنت رابطة رجال الدين اليهود فى ألمانيا أن هذا المؤتمر يناقض الدعوة المسيائية، ولذا رفضته بشدة، وقد أدت هذه الحملة إلى نقل مكان المؤتمر إلى بازل بسويسرا، حيث عقدت الحركة الصهيونية مؤتمرها الأول فى عام ١٨٩٧ ، وأعلنت عن برنامجها السياسى الذى يهدف إلى إقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى أرض فلسطين.

واذا كان لنا أن نقيم إنجازات المؤتمر الصهيونى الأول، فإنه يمكن القول أن أهم إنجاز له على الإطلاق، تمثل فى انعقاد المؤتمر ذاته، أى التقاء الزعماء اليهود واتفاقهم على نهج جديد فى التعامل مع المسألة اليهودية. وقد تمثل هذا النهج فى رفض تصور اليهود التقليدى حول المسيح المنتظر، والبدء فى البحث عن طرق عملية من أجل تحقيق الحلم القديم للشعب اليهودى، بحيث تكون هذه الطرق متكيفة مع عوامل الزمن الملائمة لحركتها.

وربما يرفض البعض حصر أهمية قيام الحركة الصهيونية فى مجرد أنها رفضت

التصور التقليدى الغيبى الذى كان سائدا. قبل ذلك، واتباع منهج جديد لتحقيق الحلم الصهيونى، ويعتبرون فى ذلك انتقاصاً للدور الكبيرالذى لعبته الحركة الصهيونية فى قيام إسرائيل. وكان من الممكن أن يكون هذا الرفض فى محله لو أن هذه الحركة عملت لتحقيق قيام إسرائيل بمفردها أو أنها كانت أول من تبنى هذه الفكرة، ولكننا لاحظنا من خلال العرض السابق كيف أن التفكير بإعادة اليهود إلى فلسطين بدأ قبل ظهور الحركة الصهيونية بثلاثة قرون على أيدى أتباع المذهب البروتستانتى، الذين لم يتركوا مناسبة إلا استغلوها من أجل تحقيق هذه العودة، كما أنهم قاموا بدراسة فلسطين والبحث فيها من أجل إعدادها وتهيئتها لسكانها الجدد، الذين لم يطلب منها سوى التجاوب مع هذه الجهود وعدم رفضها. وقد جاء هذا التجاوب من قبل الحركة الصهيونية، التى وجدت كافة الأمور ممهدة أمامها، ولم يكن مطلوب منها سوى تبنى هذه الدعوة نيابة عن اليهود فى كل مكان، والعمل على استغلال كافة العوامل الدينية والسياسية والاقتصادية والإنسانية، بالإضافة إلى المتغيرات الدولية لصالحها، من أجل إقناع الحكومة البريطانية ودول أوروبا بضرورة توطين اليهود فى أرض فلسطين.

ومن هنا بدأ الزعماء الصهاينة يتحركون نحو الحكومة البريطانية لمساعدتهم فى ذلك، فبالإضافة إلى العامل الدينى والمكاسب السياسية التى ستجنيها بريطانيا من خلال توطين اليهود فى فلسطين، برز عامل آخر مهم، وهو هجرة اليهود من دول أوروبا الشرقية إلى دول أوروبا الغربية وأمريكا فراراً من الاضطهاد. فقد كانت هذه الهجرة تقلق تلك الحكومات ومنها بريطانيا التى سعت لوضع حل لهذه المشكلة. فشكلت فى عام ١٩٠٢م اللجنة الملكية لهجرة الغرباء، والتى حاولت تقدير أخطار هذه الهجرة غير المقيدة وما يجب أن تتخذه الحكومة البريطانية حيالها. وكان من بين الشهود الذين تحدثوا أمام تلك اللجنة تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية، الذى قدم حلاً للمشكلة مبنيا على أسس صهيونية، حيث قال فى شهادته:

«لا شىء يحل المشكلة التى دعيت اللجنة إلى حلها وتقديم الرأى بشأنها، سوى تحويل تيار الهجرة الذى سيستمر بصورة متزايدة من أوروبا الشرقية، إن يهود أوروبا الشرقية لا يستطيعون أن يبقوا حيث هم، أين سيذهبون؟ إذا كنتم ترون أن بقاءهم

هناك غير مرغوب فيه، فلا بد من إيجاد مكان آخر يهاجرون إليه دون أن تثير هجرتهم المشاكل التى تواجهكم هنا. لن تبرز هذه المشكلة إذا وجد وطن لهم يتم الاعتراف به قانونياً وطناً يهودياً» (١٠).

وقد لاقى اقتراح هرتزل السابق آذاناً صاغية من السياسيين البريطانيين، حيث اقترح تشامبرلين ـ وزير المستعمرات البريطانية ـ إعطاء العريش لليهود لتكون مركز تجميع لهم قرب فلسطين، ولكن هذا الاقتراح فشل لعدة أسباب، فما كان من تشامبرلين إلا أن اقترح فى عام ١٩٠٣ (فى عهد حكومة بلفور) إعطاء أوغندا لليهود ليقيموا فيها وطناً لهم، ولكن المؤتمر الصهيونى السادس المنعقد فى لندن عام ١٩٠٣، رفض هذا العرض لبعده عن الهدف النهائى وهو فلسطين.

ولكن فلسطين فى هذه الفترة كانت خاضعة للسيطرة التركية، ولذلك لم يكن بمقدور الحكومة البريطانية إعطاء أى التزام للحركة الصهيونية تجاه فلسطين.

وعد بلفور:.

عندما استطاعت بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى، الاستيلاء على فلسطين فى عام ١٩١٧، أصدر اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانى وعده المشؤوم فى ٢ـ ١١ ـ ١٩١٧، فى عهد حكومة لويد جورج، والذى ينص على إعطاء اليهود وطناً قومياً فى فلسطين، وهذا النص الحرفى للوعد: «إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ولا الحقوق والوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى» (١١).

ويصف السير رونالدستوز فى كتابه (استشراقات) الصدى الذى لقيه صدور الوعد بقوله:

«لقى الوعد صدى رائعاً واستحساناً فى الصحافة، يضاف إلى ذلك ما حظى به من التأييد العام والكبير لدى آلاف الكهنة الانغليكانيين والقساوسة البروتستانت وغيرهم من الرجال المتدينين فى سائر أنحاء الكرة الغربى» (١٢).

هربرت صموئيل ومستقبل فلسطين:-

لم يكن صدور وعد بلفور فى هذا الوقت أمراً غريبا أو مفاجئاً، بالنسبة لصانعى السياسة البريطانية، حيث إن الحكومة البريطانية كانت قد أعربت فى إجتماع لها فى بداية الحرب العالمية الأولى، عن عزمها إقامة دولة يهودية فى فلسطين.

ففى ذلك الاجتماع أعلن رئيس الوزراء البريطانى، اسكويت عن تخلى بريطانيا عن سياستها التقليدية إزاء الإمبراطورية العثمانية وسعيها إلى تجزئتها وإقتطاعها. فأعرب له لويد جورج - وزير الخزانة آنذاك - عن اهتمامه بإقامة دولة يهودية فى فلسطين، كما أشار وزير الخارجية، إدوارد غراى «إلى الفرصة التى قد تتاح لتحقيق الأمنية القديمة للشعب اليهودى وإعادة أمجاد الدولة اليهودية»(١٣).

وقد حضر هذا الاجتماع هربرت صموئيل - المندوب السامى البريطانى فى فلسطين، فيما بعد - حيث قدم لهذا الاجتماع دراسة عن مستقبل فلسطين بعد الحرب، تضمنت خمسة احتمالات، كان أحدها ينص على وضع فلسطين تحت الحماية البريطانية، حيث بين أهمية ذلك قائلاً:

«إن الإمبراطورية البريطانية باتساعها وازدهارها الحاضر، ليس لديها ما تضيفه إلى عظمتها. ولكن فلسطين على صغر مساحتها تنتفخ ضخمة فى مخيلة العالم، حتى أن كل إمبراطورية مهما كانت عظيمة، قد ترفع من مكانتها ومركزها بامتلاكها لها.

إن ضم فلسطين إلى الإمبراطورية البريطانية سوف يزيد حتى فى لمعان التاج البريطانى، وسيشكل جاذباً شديد القوة لشعب المملكة المتحدة والمملكات المستقلة، خصوصاً إذا ظهر كوسيلة معلنة لمساعدة اليهود على احتلال البلاد من جديد. هناك عطف واسع الانتشار وعميق الجذور فى العالم البروتستانتى على فكرة ارجاع الشعب العبرانى إلى الأرض التى اعطيت ميراثاً له، وهناك اهتمام شديد بتحقيق النبوءات التى توقعت ذلك مسبقاً» (١٤).

الدافع الدينى ووعد بلفور:-

بالرغم من أن اللورد بلفور كانت له دوافعه السياسية والعسكرية التى سعى إلى تحقيقها من وراء إعطاء هذا الوعد للحركة الصهيونية، فإننا لا يجب ألا نغفل أثر

ثقافته الدينية التى لعبت دوراً حاسماً لصالح صدور هذا الوعد، فى وقت لم تكن فيه فلسطين تخضع للسيادة البريطانية. حيث يبدو أن اللورد بلفور كان ينتظر بفارغ الصبر قرب وقوع فلسطين تحت السيطرة البريطانية حتى يحقق مطالب الحركة الصهيونية والنبوءات الواردة فى العهد القديم، مثله فى ذلك مثل الجنرال اللينبى الذى قال مقولته المشهورة عندما دخل مدينة القدس: «ها قد عدنا يا صلاح الدين، اليوم انتهت الحروب الصليبية!» (١٥). فاللورد بلفور كان بروتستانتياً مؤمنا، ترعرع فى أحضان التقاليد البروتستانتية الاسكوتلاندية، بكل ما تحمله من حب للعهد القديم وايمان شديد بضرورة عودة اليهود إلى فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر.

وعن ثقافته تقول ابنة أخته ومؤرخة حياته، بلانش دوغويل:

«لقد تأثر منذ نعومة أظافره بدراسة التوراة فى الكنائس، وكلما اشتد عوده زاد إعجابه بالفلسفة اليهودية، وكان دائماً يتحدث باهتمام عن ذلك، ومازلت أذكر أننى فى طفولتى اقتبست منه الفكرة القائلة، بأن الدين النصرانى والحضارة النصرانية، مدينة بالشىء الكثير لليهودية» (١٦).

ويقول عنه ب. جروبر فى كتابه (إسرائيل فى العقل الأمريكى): «لقد كان بلفور أكثر فهماً من هرتزل لطموحات الصهيونية» (١٧) وكان صهيونياً أكثر من أى صهيونى آخر، كما كان يردد ذلك بفخر.

وهل كانت طموحات هرتزل وزعماء الحركة الصهيونية تفوق ما جاء فى وعد بلفور الذى أكد على وجود اليهود كأمة، ثم دمج الوعد فى صك الانتداب الذى وافقت عليه عصبة الأمم؟

وهل كانت طموحات هرتزل وتوقعاته ترقى إلى ما وصل إليه تفكير بلفور، عندما أجاز لليهود توسيع حدودهم شمالاً وشرقاً بحجة الحصول على المياه التى يحتاجونها؟ فقد جاء فى مذكرة بلفور حول سوريا وفلسطين وما بين النهرين قوله:

«إذا كان للصهيونية أن تؤثر على المشكلة اليهودية فى العالم، فينبغى أن تكون فلسطين متاحة لأكبر عدد من المهاجرين اليهود، ولذا فإن من المرغوب فيه أن تكون

لها السيادة على القوة المائية التى تخصها بشكل طبيعى سواء كان عن طريق توسيع حدودها شمالاً، أم عن طريق عقد معاهدة مع سوريا الواقعة تحت الانتداب. وللسبب ذاته يجب أن تمتد فلسطين لتشمل الأراضى الواقعة شرق نهر الأردن» (١٨).

صهيونية لويد چورج:-

إذا كانت تلك هى صهيونية اللورد بلفور، فإن صهيونية رئيس وزرائه لويد جورج، لا تقل عن ذلك.

فقد تربى لويد جورج على يد خاله الواعظ فى إحدى الكنائس المعمدانية، المعروفة بتعصبها وإيمانها الشديد بضرورة عودة اليهود إلى أرض فلسطين كمقدمةلعودة المسيح المنتظر. وكانت للويد جورج خلفية كبيرة بالعهد القديم، حيث اعترف بأثره عليه عندما قال:

«نشأت فى مدرسة تعلمت فيها تاريخ اليهود أكثر من تاريخ بلادى، وبمقدورى أن أذكر أسماء جميع ملوك إسرائيل، ولكننى أشك إن كنت أستطيع ذكر أسماء بضعة ملوك من ملوك إنجلترا أو مثل ذلك العدد من ملوك ويلز. لقد تشربنا تاريخ جنسكم - يقصد اليهود - فى أعظم أيام مجده عندما أقام أدبه العظيم الذى سيتردد صداه حتى آخر أيام هذا العالم القديم، والذى سيؤثر فى الأخلاق الإنسانية ويشكلها وسيدعم ويلهم الحاضر الإنسانى، لا لليهود فحسب، بل للمسيحيين كذلك. لقد استوعبناه وجعلناه جزءا من أفضل ما فى الأخلاق المسيحية» (١٩).

وهذا هو حاييم وايزمان يؤكد مدى إعجاب لويد جورج بالعهد القديم، عندما تحدث عن أحد لقاءاته معه، حيث قال:

«وصلت إلى مقر رئيس الوزراء فى داوننج ستريت وكانت الشوارع مكتظة بالأهالى المهللين. ولما دخلت على لويد جورج وجدته يقرأ فى مزامير داود، وعرضت عليه خلاصة مستعجلة لأعمالنا وزياراتنا لبلاد فلسطين» (٢٠)

الانتداب البريطانى وتسليم فلسطين:-

بعد صدور وعد بلفور، سعت بريطانيا جاهدة للحصول على موافقة الحلفاء لإخضاع فلسطين للانتداب البريطانى، وقد تم ذلك.

ففى يوم ٢٥ ابريل ١٩٢٠ وافق المجلس الأعلى للدول المتحالفة عند انعقاده فى سان ريمو، على أن يوكل إلى الحكومة البريطانية مهمة الانتداب على فلسطين، وفى ٢٤ يوليو ١٩٢٢ أسند مجلس جمعية الأمم المتحدة مهمة الانتداب إلى الحكومة البريطانية، غير أن الانتداب لم يطبق رسمياً، لأن تركيا لم تكن قد وافقت على انفصال الولايات العربية عنها.

وبمقتضى معاهدة سيفر التى عقدت فى ١٠ أعسطس١٩٢٠ وافقت تركيا على انفصال الولايات العربية عنها، كما وافقت على تصريح بلفور، بيد أن معاهدة سيفر لم يتم التصديق عليها فى الجمعية الوطنية التركية، التى رفضت بعض أحكامها بما فى ذلك تصريح بلفور. ولم يصبح فصل الولايات العربية عن تركيا نافذاً بصورة قانونية إلا بعد ثلاث سنوات عندما أبرمت معاهدة لوزان، ووقعت عليها تركيا فى ٢٤ يوليو ١٩٢٣، (٢١).

وهكذا حصلت بريطانيا على ما تريد لتحقيق الحلم الصهيونى عن طريق وضع فلسطين تحت انتدابها، الذى تم فى ظله فتح أبواب فلسطين على مصراعيها أمام الهجرة اليهودية، بالإضافة إلى التسهيلات الكبيرة التى قدمتها سلطات الانتداب لليهود، والتى مكنتهم من إقامة المستعمرات وشراء الأراضى وتأسيس نواة الجيش الإسرائيلى.

وحتى فى بعض الحالات التى وجدت فيها الحكومة البريطانية، أن بعض المسئولين يقفون حائلاً أمام سرعة تنفيذ المشروع الصهيونى كما تريد، قامت هذه الحكومة بإبعاد أمثال هؤلاء المسئولين عن مناصبهم، كما فعلت ذلك مع الجنرال بولز الحاكم العسكرى لفلسطين فى بداية الانتداب.

فقد قدم الجنرال بولز توصيات إلى حكومته، طالبها فيها بانتهاج سياسة عادلة تجاه السكان العرب فى فلسطين، بالإضافة إلى مطالبته بإلغاء اللجنةالصهيونية، بسبب تدخلها المستمر فى شئون فلسطين الداخلية.

هربرت صموئيل:

سارعت السلطات البريطانية بإقالة بولز من منصبه، وعينت مكانه هربرت صموئيل

الصهيونى العريق، وسلمته مقدرات فلسطين ووضعته على رأس الإدارة المدنية، بعد استبدال الحكم العسكرى بحكم مدنى، مع العلم بأن أحكام معاهدات لاهاى، لا تجيز للدولة المحتلة إقامة حكم غير عسكرى قبل التوقيع على معاهد سلام.

وقد تم هذا التبديل بعد مداخلات أجراها الرئيس الأمريكى ويلسون والكولونيل هاوس واللورد بلفور، مما حذا بالأخير إلى إصدار التعليمات اللازمة «والإتيان بضباط يعطفون على الأمانى الصهيونية لإحلالهم محل الذين شكا الصهيونيون منهم» (٢٢).

وبمجرد أن تولى هربرت صموئيل منصبه الجديد، قام بأعمال كثيرة تخدم الأهداف الصهيونية، حيث اعتمد اللغة العبرية كلغة رسمية فى فلسطين، وملأ الدوائر الحكومية بالموظفين اليهود. وفى تصرف غير عادى أمر بإطلاق سراح الزعيم الصهيونى جابوتنسكى، بالرغم من أن سلطات الانتداب كانت قد حكمت عليه بالسجن لمدة ١٥ عاماً (٢٣).

الضباط البريطانيون وبناء الجيش الإسرائيلى:-

أطلق هربرت صموئيل يد الضباط البريطانيين، لتقديم المساعدة للمنظمات العسكرية اليهودية، وتغاضى عن كثير من تصرفاتهم التى تتنافى مع مهمتهم فى فلسطين.

فقد قام كثير من الضباط البريطانيين بتزويد المنظمات اليهودية بالأسلحة اللازمة لها، هذا فى الوقت الذى منع السلاح عن العرب كما قام كثير من هؤلاء الضباط بالإشراف على تدريب هذه المنظمات.

وينغيت والتفسير العسكرى للتوراة:

كان الكابتن تشارلز اورد (وينغيت) مؤسس الوحدات الليلية الخاصة، ابناً لعائلة اسكتلندية تنتمى إلى جماعة (اخوان بليموث) إحدى طوائف «المنشقين» فى إنجلترا المتشبعة بروح بروتستانتية صارمة. حيث كانت قصص التوراة وترانيم سفر المزامير مادة قراءاته الأولى. وظل يلهج بها طوال حياته، حتى أصبحت دارجة على لسانه. وعن

طريقهما عرف أول مرة شعب إسرائيل وأرض إسرائيل، اللذين ألهبا خياله منذ نعومة أظافره. (٢٤).

وفى أثناء توجهه إلى فلسطين، انكب وينغيت على دراسة مشكلات أرض اسرائيل الحديثة. واتضح له بسرعة، أن النضال اليهودى ليس غريبا عنه ابداً. اذ أن قصص التوراة عن حروب بنى اسرائيل ضد ملوك الكنعانيين، ومناظر البلد التى كان مولعاً بها، قربته من المسألة اليهودية أكثر فأكثر.

وفور وصوله، التحق وينغيت بالقوات البريطانية العاملة فى فلسطين، وبدأ نشاطه من أجل تحقيق إقامة الدولة اليهودية، من خلال نشاطه العسكرى المميز، حيث قام بتشكيل الوحدات الليلية الخاصة التى لعبت دوراً أساسياً فى محاربة الثوار الفلسطينيين، كما لعب دوراً أساسياً فى انشاء الجيش الاسرائيلى من خلال تدريب افراده وتزويدهم بالمعدات، وقد حدث أن التقى وينغيت بحاييم وايزمان وبن جوريون وقدم لهما خطة مفصلة لانشاء جيش عبرى فى فلسطين ليكون جاهزاً لتسلم البلاد فى اللحظة المناسبة.

لهذا يعتبر وينغيت من أشهر الضباط الإنجليز الذين قدموا مساعدة للمنظمات الصهيونية العسكرية، حيث كان ينظر إلى المساعدة التى يقدمها لليهود كواجب دينى مفروض عليه أن يؤديه.

فقد كان وينغيت ـ مثله، مثل معظم الصهاينة غير اليهود ـ من الحرفيين الدينيين، الذين يفسرون العهد القديم تفسيراً حرفياً، ولذاكان مثابراً على تفسير الأحداث التاريخية التى وردت فى الإنجيل تفسيراً عسكرياً وكأنها حدثت بالأمس، على حد قول بن جوريون.

وكان وينغيت مقتنعاً تمام الاقتناع بأنه مرسل فى مهمة دينية مقدسة ومحددة لإنقاذ إسرائيل، وفى ذلك يقول عنه موشى ديان:

«كان وينغيت يؤمن إيماناً لا يتزعزع بالتوراة. فقبل أن ينطلق فى مهمته كان يقرأ فى التوراة، المقطع الذى يتحدث عن المنطقة التى سيسلكها، فيجد فيه ضماناً لانتصارنا، انتصار إله يهوذا» (٢٥).

ويوضح دافيد هكوهين ـ وهو أحد الزعماء الصهاينة ـ مدى معرفة وينغيت بفلسطين، ومدى إيمانه بكل ما ورد بشأنها فى التوراة، فيقول:

«كنت معتاداً على التجول فى البلد (فلسطين) برفقة زوار من أبناء الشعب الانجليزى، كانوا على معرفة بأسماء من تاريخنا، ويعرفون خريطة البلد جيداً، ويحفظون مقاطع من التوراة عن ظهر قلب.لكن ايا منهم لم يكن شبيهاً بوينغيت فى عمق معرفته، واطلاعه المذهل، وقدرته على تفسير ماورد فى التوراة. كان يروى شفاهة مقطعاً فى اثر مقطع ها هى حاروشت هفوييم، ديبواره وبراك، جبال غلبواع، تل هاموريه، شونئم وعين دور ـ كل هذا كما لو كان يقرأ فى خريطة أمام عينيه ـ هنا تماماً، تقريباً هنا،... ربما خلف هذه الصخور... هنا أرسلوا الإشارات الضوئية...لهذا السبب أو ذاك أصيبوا... بالتأكيد فروا من هذا الوادى... ولماذا لم يساعدهم إخوانهم من السبط الفلانى أما كانوا قاطنين هنا، وراء الجبل؟ وكان يتحدث بألم، بانفعال وغضب، كما لو أن الأمر حدث البارحة، كما لو أن الانقسام الكبير بين آل داود وأسباط اسرائيل أمر يخصه شخصياً» (٢٦).

ووينغيت هذا لم يكن إلا نموذجاً من النماذج الكثيرة لضباط وجنود ومسئولين انجليز، عملوا فى فلسطين، وكانت النظرة الدينية البحتة هى التى تحكم تصرفاتهم وقراراتهم تجاه فلسطين.

الدافع الدينى للتحيز:

مما تقدم يمكننا تقدير حجم المساعدة، ودوافعها الدينية، التى قدمتها بريطانيا للحركة الصهيونية. فهذه المساعدة لم تكن بدافع الحصول على مكاسب مادية، أو بسبب أثر اللوبى الصهيونى، أو نتيجة لدهاء وعبقرية الزعماء الصهاينة، بل كان الدافع الأساسى لها كما اتضح لنا، دافعاً دينياً فى الأساس.

تقول دائرة المعارف البريطانية: «إن الاهتمام بعودة اليهود إلى فلسطين قد بقى حياً فى الأذهان بفعل النصارى المتدينين، وعلى الأخص بريطانيا التى كان اهتمامها أكثر من اهتمام اليهود أنفسهم» (٢٧).

كما أن حاييم وايزمان ـ أول رئيس لدولة إسرائيل ـ وضح هذا الأمر بجلاء في كتابه (التجربة والخطأ) حيث قال:

«لقد احتضنت بريطانيا الحركة الصهيونية منذ نشأتها، وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها، ووافقت على تسليم فلسطين خالية من سكانها العرب لليهود في عام ١٩٣٢. ولولا الثورات المتعاقبة التي قام بها عرب فلسطين، لتم إنجاز هذا الاتفاق في الموعد المذكور» [٢٨].

ويقول وايزمان في مكان آخر:

«للقارئ أن يسأل؛ ماهي أسباب حماسة الإنجليز لمساعدة اليهود وشدة عطفهم على أماني اليهود في فلسطين؟ والجواب على ذلك، أن الإنجليز ـ لاسيما من كان منهم من المدرسة القديمة ـ هم أشد الناس تأثراً بالتوراة. وتدين الإنجليز هو الذي يساعدنا في تحقيق آمالنا، لأن الإنجليزي المتدين يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب عودة اليهود إلى فلسطين. وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية في هذه الناحية أكبر المساعدات» [٢٩].

وهكذا لعبت بريطانيا دوراً رئيسياً في قيام دولة إسرائيل بفضل وعد بلفور وما تبعه من انتداب، كان هدفه الأساسي الإعداد والتحضير لإعلان الاستقلال في عام١٩٤٨.

الهوامش

١ـ فلسطين، القضية ـ الشعب ـ الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص ٢٨٥ .

٢ـ فلسطين، القضية، الشعب، الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ .

٣ـ مقارنة الأديان ـ د. أحمد شلبى ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥ .

٤ـ فلسطين، القضية ـ الشعب ـ الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص ٣٢٧ .

٥ـ فلسطين، القضية ـ الشعب ـ الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص ٣١١ .

٦ـ فلسطين، القضية ـ الشعب ـ الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص ٣١١ ـ ٣١٢ .

٧ـ أزمة الفكر الصهيونى ـ د. محمد ربيع ص٢٣

٨ـ فلسطين، القضية ـ الشعب ـ الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص ٣١٤ .

٩ـ فلسطين، القضية ـ الشعب ـ الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص ٣٢٣ .

١٠ـ الصهيونية غير اليهودية ـ د. ريجينا الشريف ـص ١٩٢ .

١١ـ فلسطين، القضية ـ الشعب ـ الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص ٤٥٧ .

١٢ـ إسرائيل الكبرى، دراسة فى الفكر التوسعى الصهيونى ـ د. أسعد رزوق ـ ص ٣٦٢ .

١٣ـ المصدرالسابق ـ ص ٢٢٧ .

١٤ـ المصدر السابق ـ ص ٢٣٧ .

١٥ـ الاستعمار وفلسطين ـ رفيق النتشة ـص ٢٢٠ .

١٦ـ قبل أن يهدم الأقصى ـ عبدالعزيز مصطفى ـ ص ١٥٧ .

١٧ـ من أوراق واشنطن ـ د. يوسف الحسن ـ ص ١٢٥ .

١٨ـ الصهيونية غير اليهودية ـ د. ريجينا الشريف ـ ص ١٦٠ .

١٩ـ المصدر السابق ـ ص١٦١ .

٢٠ـ التجربة والخطأ ـ مذكرات حاييم وايزمان ـ ترجمة محمد الشهابى ـ ص ٧٨ .

٢١ـ فلسطين فى ضوء الحق العدل ـ هنرى شن ـ ترجمة وديع فلسطين ـ ص ١٨ .

٢٢ـ إسرائيل الكبرى ـ د. أسعد رزوق ـ ص ٤٤٣ .

٢٣ـ الأيديولوجية الصهيونية ـ عبدالوهاب المسيرى ـ ص ١٣٨ .

٢٤ـ الثورة العربية الكبرى فى فلسطين ـ ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ٠ الرواية الاسرائيلية الرسمية) مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ ص ٣٣١

٢٥ـ يوميات موشى ديان ـ ترجمة جوزيف صفير ـ ص٣٨.

٢٦ـ الثورة العربية الكبرى فى فلسطين ـ ١٩٣٦ ـ١٩٣٩ (الرواية الاسرائيلية الرسمية) مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ ص ٣٣٢.

٢٧ـ التجربة والخطأ ـ مذكرات حاييم وايزمان ـ ترجمة محمد الشهابى ـ ص ٢٥.

٢٨ـ فلسطين، القضية ـ الشعب ـ الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص ٢٩٢.

٢٩ـ المصدر السابق ـ ص ١٨.

الفصل الرابع

أمريكا والمشروع الصهيوني

كان دافيد بن جوريون يعلم، عندما أعلن عن قيام دولة إسرائيل فى عام ١٩٤٨، بأنه لابد من وجود حليف قوى يقوم بحماية هذه الدولة الوليدة. وقد كانت الدولة المؤهلة للقيام بهذه المهمة هى الولايات المتحدة الأمريكية التى خرجت من الحرب العالمية الثانية كأقوى قوة فى العالم، حيث أصبحت تلعب دوراً رئيسياً فى تشكيل السياسة الدولية.

وهذا لا يعنى أن بريطانيا قد تخلت عن دعم دولة إسرائيل بعد ذلك، أو أن أمريكا كانت غائبة عن دعم مطالب الحركة الصهيونية فى فلسطين قبل ذلك. كلا، إن هذا التغير فرضته المتغيرات الدولية، بحيث أصبحت أمريكا تحتل مركز الصدارة فى دعم الحركة الصهيونية بعد الحرب العالمية الثانية.

فأمريكا مثلها مثل بريطانياذات أغلبية بروتستانتية، تغلغلت فى تفكير مواطنيها الأفكار والنبوءات التوراتية الخاصة بعودة اليهود إلى فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر، حتى قبل ظهور الحركة الصهيونية بفترة كبيرة من الزمن.

هجرة البروتستانت إلى أمريكا:

عندما بدأ الاستيطان الأوروبى لأمريكا كان معظم المهاجرين الجدد من البروتستانت، الذين فروا من الاضطهاد الدينى الذى ساد أوروبا فى ذلك الوقت.

فقد هاجر إلى أمريكا كثير من البروتيان المتدينين، فراراً من الاضطهاد الدينى الذى ساد إنجلترا أثناء حكم آل ستيوارت. وقد كان هؤلاء المستوطنون الجدد يحملون معهم تراثهم الدينى المستمد من العهد القديم، والذى أخذ يلعب دوراً رئيسياً فى تشكيل الفكر الأمريكى منذ ذلك الوقت.

ومما قوى من أهمية هذا الدور، هو ربط هؤلاء المستوطنين بين تجاربهم التى مروا بها منذ رحيلهم من أوروبا وإنجلترا بالذات، وبين التجارب التى مر بها اليهود القدماء عندما فروا من ظلم فرعون إلى أرض فلسطين. فهم مثلهم مثل اليهود فروا من الظلم بحثاً عن الأرض الموعودة التى تدر لبناً وعسلاً، وجابهوا الصعاب فى رحلتهم عبر المحيط، كما حدث لليهود فى صحراء سيناء. كما أنهم جوبهوا بمقاومة السكان الأصليين كما جوبه اليهود بمقاومة أهل فلسطين، وعندما كانوا يعلنون الحرب على أصحاب البلاد الأصليين، كانوا يستحضرون العهد القديم، حيث ثمة تشابه بين تجاربهم فى حربهم مع الهنود الحمر، وتجربة اليهود فى حربهم ضد الفلسطينيين فى الماضى.

لقد عانوا من الانقسام ومن تجارب الحرب الأهلية المريرة، كما حدث مع اليهود القدماء عندما انقسمت مملكتهم إلى مملكتين إحداهما فى الشمال والأخرى فى الجنوب.

لقد كان هؤلاء المستوطنون يعلمون أن الأرض التى استولوا عليها من سكانها الأصليين ليست أرضهم،كما أنهم يعلمون أن ما يقومون به من عمليات اضطهاد وقتل وتشريد للسكان الأصليين، يتنافى مع أبسط المبادئ الأخلاقية، فكانوا لذلك بحاجة إلى شىء يبرر لهم أفعالهم هذه، ويضفى عليها نوعاً من الشرعية والأخلاقية ولو مزيفة، فلم يجدوا هذا التبرير إلا فى العهد القديم.

فكما أن اليهود القدماء برروا احتلالهم لفلسطين بالإدعاء بأنها الأرض الموعودة التى وهبها الله لشعبه المختار- كما يقولون - فإن هؤلاء المستوطنين الجدد فعلوا نفس الشىء بالادعاء بأن الله اختار لعنصر الأنجلو سكسونى البروتستانى الأبيض لقيادة العالم، بل نهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك عندما شبهوا الشعب الأمريكى بالشعب اليهودى الذى سعى إلى دخول الأرض الموعودة (١) ولأن هذا الاختيار لا وجود له فى أى كتاب مقدس، فإنهم سعوا إلى إيجاد رابطة بينهم وبين اليهود الذين يدعون أنهم شعب مختار. هذا فقد زعم أحد الكتاب ويدعى ريتشارد بروترز فى كتابه «المعرفة المنزلة للنبوءات والأزمنة» بأن الإنجليز السكسون هم من أصل يهودى، على أساس أنهم ينحدرون من من سلالات الأسباط التى ادعى اليهود أن أفرادها فقدوا بعد اجتياح الآشوريين لمملكة إسرائيل عام ٧٢١ قبل الميلاد» (٢).

وربما يفسر هذا الإدعاء ما كتبه هيرمان ملفيل فى بداية القرن التاسع عشر متحدثاً عن الشعب الأمريكى حيث قال: «نحن الأمريكيين شعب خاص، شعب مختار وإسرائيل العصر الحاضر» (٣).

الفكر الأمريكى والبعث اليهودى:

فى ظل هذا الوضع، ومع نهاية القرن الثامن عشر الذى شهد بعث الأمة الأمريكية، أصبح الاعتقاد بالبعث اليهودى يشكل جانباً مهماً من الفكر الأمريكى، حيث كان واضحاً أثر العهد القديم على الفكر الأمريكى.

فهذا الرئيس توماس جيفرسون، واضع وثيقة استقلال أمريكا، يقترح بأن يمثل رمز الولايات المتحدة الأمريكية، على شكل أبناء إسرائيل تقودهم فى النهار غيمة وفى الليل عمود من النار، بدلاً من الرمز المعمول به حالياً. وواضح أن هذا الشكل المقترح رمز للولايات المتحدة يتفق مع النص التوراتى الوارد فى سفر الخروج والذى يقول:

«كان الرب يسير أمامهم نهاراً فى عمود سحاب يهديهم فى الطريق، وليلاً فى عمود نور ليضئ لهم» (٤)

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ظهرت فى أمريكا عدة مذاهب بروتستانية نادت بعودة اليهود إلى فلسطين، انطلاقاً من إيمانها بالمعتقدات المسيائية. ولم يكتف أصحاب هذه المذاهب بالدعوة، بل عملوا من أجلها (٥) فقد تبنت كثير من الفرق البروتستانتية الدعوة إلى هذه الأفكار، مثل المعمدانيين والمرمون والسبتيين وغيرها من الفرق.

وقد علق على ذلك هنرى فورد فى كتابه (اليهودى العالمى). بقوله: «لقد سيطر اليهود على الكنيسة فى عقائدها وفى حركة التحررالفكرى المسماة بالليبرالية، وإذا كان ثمة مكان تدرس فيه القضية اليهودية دراسة صريحة وصادقة، فهو موجود فى الكنيسة العصرية. لأنها المؤسسة التى أخذت تمنح الولاء دون وعى أو إدراك إلى مجموعة الدعاية الصهيونية» (٦).

كما أنه بدا واضحاً خلال هذا القرن مدى التعاطف مع اليهود وآمالهم فى العودة إلى فلسطين، سواء على المستوى الشعبى أو المستوى الحكومى.

ففى عام ١٨١٨ بعث الرئيس الثانى لأمريكا جون آدمز برسالة إلى الصحفى اليهودى مردخاى مانويل نوح غير فيها عن أمنيته فى أن يعود إلى جوديا ـ يهودا ـ لتصبح أمة مستقلة» (٧).

كما ازدادت فى هذه الفترة المشاريع الهادفة إلى إعادة اليهود إلى فلسطين، حيث احتل مشروع موردخاى نواه الذى تقدم به سنة ١٨٤٥ امام جمع من المسيحيين فى نيويورك، مركز الصدارة بين مشاريع العودة، فهو ينص ـ إلى جانب التطورات التى أضافها إليه فيما بعد ـ على عودة اليهود نهائيا إلى فلسطين. إلا أنه كمرحلة تمهيدية دعاهم إلى إقامة المستوطنات فى منطقة آرارات قرب بافالو وشلالات نياجرا. وقد ايد الرئيس الامريكى جو آدمز عودة اليهود، فى رسالة وجهها إلى نواه (٨).

العمل من أجل تحقيق النبوءات التوراتية:ـ

فى نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر، بدأ التعاطف الأمريكى مع اليهود يتحول إلى عمل ملموس لتحقيق النبوءات التوراتية، سواء عن طريق أفراد أو جمعيات أو كنائس.

ففى عام ١٨٤٠ بعث مؤسس الكنيسة المورمينية، جوزيف سميث، تلميذه اورسون هايد من أجل تسهيل نبوءة (بعث إسرائيل)، ومن بين كتب التوصية التى حملها هايد معه، كتاب من وزير خارجية الولايات المتحدة، وآخر من حاكم ولاية إيلينوى.

وفى عام ١٨٥٠ قام واردكريون القنصل الأمريكى فى القدس، بتأسيس مستوطنة زراعية فى منطقة القدس، وخطط لتأسيس مستوطنات أخرى، وحاول الحصول على دعم زعماء اليهود، ولكنهم لم يستجيبوا له رغم أنه تحول عن ديانته المسيحية إلى اليهودية.

وكان القنصل الأمريكى يرى أن تلك المستوطنات الزراعية ستكون البداية الأولى لفلسطين الجديدة، حيث ستقيم الأمة اليهودية وتزدهر (٩) وقد حذا حذو القنصل

الأمريكى، بعض المواطنين الأمريكيين، حيث أسسوا مستوطنة زراعية بالقرب من يافا لنفس الغرض.

وفى هذا القرن أيضاً ظهر كثير من الطوائف والجمعيات المسيحية التى دعت إلى ضرورة إعادة اليهود إلى أرض فلسطين، حيث أخذت تنشر دعوتها بين العامة، بالإضافة إلى سعيها للتأثير على الشخصيات المهمة فى أمريكا.

جماعة أخوة المسيح:

فى عام ١٨٤٨ أسس جون طوماس الجماعة الدينية المعروفة باسم (أخوة المسيح) والتى تقوم دعوتها التبشيرية بشكل رئيسى، على تطبيق النبوءات التوراتية وسفر الرؤيا، على الأحداث الحاضرة والمستقبلية. وقد ساهمت هذه الطائفة بلسان أحد أتباعها وبقلمه، فى إظهار الحركة الصهيونية بمظهر البينة أوالعلامة على مجئ المسيح قريباً ليبسط حكمه وسلطانه على العالم أجمع من مقره فى القدس، وذلك كما جاء فى كتاب فرانك جنادى (فلسطين واليهود) أو (الحركة الصهيونية بينة لظهور المسيح عما قريب فى القدس، ليحكم العالم بأسره من هناك)[١٠].

جمعية بنات بريث (أبناء العهد):

فى عام ١٨٤٣ أنشأ هنرى جونز بالتعاون مع مجموعة من الصهاينة الأمريكيين، جمعية بنات بريث فى مدينة نيويورك، بهدف تسهيل إعادة اليهود إلى فلسطين. ومن نيويورك انتشرت فروع الجمعية فى أمريكا وجميع أنحاء العالم. وقد أنشئ فرع للجمعية فى فلسطين فى عام ١٨٨٨ من أجل المساهمة فى بناء المستعمرات اليهودية لتكون نواة للوطن القومى اليهودى. كما تم فتح فرعين للجمعية فى مصر.[١١].

وقد استطاعت هذه الجمعية وفروعها المنتشرة فى كثير من البلدان التأثير على كثير من الشخصيات المهمة فى أمريكا والعالم، من أجل كسب دعمهم ومساندانهم للمطالب الصهيونية فى فلسطين. وقد حرص غالبية الرؤساء والمسئولين الأمريكيين على المشاركة فى المناسبات والحفلات التى تقيمها الجمعية، لكى يشيدوا بالأعمال العظيمة التى تقوم بها هذه الجمعية من أجل خدمة الأهداف الصهيونية.

جمعية شهود يهوه:.

أنشئت هذه الجمعية في ولاية بنسلفانيا الأمريكية فى عام ١٨٨٤، ثم انتقلت إلى مدينة نيويورك فى عام ١٩٠٩، حيث أخذت توفد المبشرين إلى جميع أنحاء العالم لكسب التأييد لفكرة إعادة اليهود إلى أرض فلسطين، تحقيقاً للنبوءات التوراتية. وقد وصل نشاط هذه الجمعية إلى البلاد العربية نفسها.

يقول عبد الله التل، فى كتابه جذور البلاء عن هذه الجمعية:

« هى جمعية يهودية ترتدى ثوباً مسيحياً مزيفاً، وهى فى الواقع من أخطر الجمعيات اليهودية فى العالم، ذلك أنها تقوم على مبدأ خداع الجماهير المسيحية الساذجة، وادخال نبوءات التوراة فى النفوس المؤمنة ليصبح الاعتقاد جازماً عند المسيحيين، بوجوب عودة اليهود إلى أرض الميعاد. وطريقة التبشير عند أتباع هذه الجمعية، هى اقتحام بيوت الناس بوقاحة عجيبة والبدء بإلقاء دروس دينية من التوراة اليهودية، لاستدرار عطف السامعين وكسبهم فى صف الداعية، إلى ضرورة عودة اليهود لأرض الميعاد، تحقيقاً لأوامر اليهود.

ولقد تسربت هذه الجمعية إلى البلاد العربية، وخدعت حكومات عربية كثيرة، فتغاضت عن نشاطها، وفى لبنان استفحل نفوذها، فهب فريق من رجال الدين المسيحى الواعين وهالهم التطبيق العملى لتعاليم هذه الجمعية، وقاد المعركة ضد شهود يهوه، الخورى، جورج فاخورى، وفضح أسرارها وكشف حقيقتها» (١٢).

وليم بلاكستون والبعثة العبرية نيابة عن إسرائيل:

فى أواخر القرن التاسع عشر ظهر رجال دين، يطالبون بعمل شعبى لإعادة اليهود إلى فلسطين، وكان من أبرز هؤلاء وليام بلاكستون، رجل الدين والمؤلف والمليونير الذى ينفق الملايين على التبشير، والذى يعتبر أبا للصهيونية اليهودية، بسبب نشاطه المتواصل من أجل تحقيق النبوءات التوراتية.

ففى عام ١٨٧٨ ألف بلاكستون كتاب (عيسى قادم) الذى بيع منه أكثر من

مليون نسخة، وترجم إلى ٤٨ لغة بما فيها العبرية. وقد أثار هذا الكتاب جميع الأمريكيين بكافة طبقاتهم، حيث كان من أكثر الكتب التى تتحدث عن عودة اليهود إلى أرض فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر.

وبالإضافة إلى ذلك فقد أسس القس بلاكستون فى شيكاغو منظمة سماها (البعثة العبرية نيابة عن إسرائيل). وقد عملت هذه المنظمة فى مجالات متعددة ودعت اليهود إلى العودة إلى فلسطين، واستمرت هذه المنظمة فى العمل حتى يومنا هذا وأصبح اسمها حالياً، اتباع أمريكا المسيحية [١٣].

وقد زار بلاكستون فلسطين عام ١٨٨٨، وادعى أن تطويرها زراعيا وتجاريا لن يتم إلا على أيدى ورثة هذه الأرض وهم اليهود.

وبلغ نشاط بلاكستون ذروته عندما قاد حملة لجمع توقيعات على عريضة قدمها للرئيس الأمريكى بنيامين هارسون فى عام ١٨٩١، حيث طالب فيها بالمساعدة فى إعادة فلسطين لليهود. وقد جاء فى هذه العريضة قوله: «لماذا لا نعيد فلسطين لهم - اليهود - إنها وطنهم حسب توزيع الله للأمم، وهى ملكهم الذى لا يمكن تحويله لغيرهم والذى طردوا منه عنوة. لقد كانت أرضاً مثمرة بفضل فلاحتهم لها، وكانت تعيل ملايين الإسرائيليين الذين كانوا يفلحون سفوحها ووديانها بكل نشاط، كانوا مزارعين ومنتجين، كما كانوا أمة ذات أهمية تجارية كبرى - مركز الحضارة والدين. لماذا لا تعيد الدول التى أعطت بموجب معاهدة برلين عام ١٨٧٨، بلغاريا للبلغاريين والصرب للصربيين، فلسطين لليهود» [١٤] وقد سلم الرئيس هارسون هذه العريضة ووعد بأن يأخذها بعين الاعتبار.

وعندما أنشئت الحركة الصهيونية بزعامة هرتزل، قام القس بلاكستون بإرسال نسخة من التوراة إلى هرتزل، واضعاً خطوطاً وعلامات تحت النصوص التى تشير إلى استعادة فلسطين، ولقد حفظت هذه النسخة فى ضريح هرتزل» [١٥].

الحكومة الأمريكية والمطالب الصهيونية:

لما وضعت الحركة الصهيونية برنامجها، وسعت إلى تحقيقه عن طريق الحصول على

مساعدة الحكومة البريطانية،كان لأمريكا دور كبير فى تحقيق أول المطالب الصهيونية والتى تحققت بفضل وعد بلفور، هذا الوعد الذى لم يصدر إلا بعد اتصالات بين الحكومتين البريطانية والأمريكية، حيث كانت موافقة أمريكا على الوعد ضرورية.

الرئيس ويلسون:

لعب الرئيس ويلسون دوراً رئيسياً فى صدور وعد بلفور، حيث شارك فى الاتصالات التى سبقت صدور الوعد، وأعلن عن تأييده لمنح اليهود وطناً قومياً فى فلسطين. فقد صرح عشية صدور الوعد بقوله:

«لن تصبح فلسطين مؤهلة للديمقراطية إلا إذا امتلك اليهود فلسطين كما سوف يمتلك العرب شبه جزيرتهم أو البولونيون، بولونية» (١٦) وعندما صدر وعد بلفور عام ١٩١٧لم يتوان الرئيس ويلسون عن تأييد هذا الوعد وإعلان موافقته عليه.

ففى آب ١٩١٨ قال الرئيس ويلسون:

«أعتقد أن الأمم الحليفة قد قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية فى فلسطين بتأييد تام من حكومتنا وشعبنا» (١٧).

كما أن ويلسون بعث برسالة إلى الحاخام ستيفان وايز، رحب فيها بالتقدم الذى أحرزته الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة وفى البلدان الحليفة بعد تصريح بلفور، وفى ٢٠ ـ ٩ ـ ١٩٢٢ صادقت الحكومة الأمريكية بصورة نهائية على مشروع بلفور.

والرئيس ويلسون كان مدفوعاً لتحقيق آمال اليهود بناءً على خلفيته الدينية. فقد تربى ويلسون فى ظل التعاليم البروتستانتية التى تؤمن بالنبوءات التوراتية، وكان يسعده أن يكون له دور فى إعادة اليهود إلى فلسطين، حيث كان يقول:

«إن ربيب بيت القسيس ينبغى أن يكون قادراً على المساعدة فى إعادة الأرض المقدسة لأهلها» (١٨).

وكان يرى نفسه من خلال خطبه العديدة، بأنه أعطى الفرصة التاريخية لخدمة رغبات الله بتحقيقه للبرنامج الصهيونى.

خلفاء ويلسون:

بعد أن وافق الرئيس ويلسون على وعد بلفور ودعم مطالب الحكومة البريطانية فى مؤتمر سان ريمو، الذى كرس الانتداب البريطانى على فلسطين، لخدمة الحركة الصهيونية، أخذ خلفاء ويلسون فى الرئاسة يلزمون أنفسهم بالموقف الصهيونى ويعبرون عن تعاطفهم مع الحركة الصهيونية.

فقد عبر الرئيس الأمريكى هاردنج فى عام ١٩٢١ عن تعاطفة مع الحركة الصهيونية وتأييده الشديد لإنشاء صندوق فلسطين.

وفى عام ١٩٢٢ اتخذ الكونجرس الأمريكى قراراً، وقع عليه الرئيس هاردنج جاء فيه الاعتراف بأنه نتيجة للحرب، أعطى بنى إسرائيل الفرصة التى حرموا منها منذ أمد بعيد لإعادة إقامة حياة وثقافة يهوديتين مثمرتين فى الأراضى اليهودية القديمة، وأن كونجرس الولايات المتحدة يوافق على إقامة وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى» (١٩).

وفى عام ١٩٢٨ قام الرئيس الأمريكى هربرت هرمز بتهنئة الحركة الصهيونية لإنجازاتها العظيمة فى فلسطين.

وفى ثلاثينات القرن الحالى، ازداد عدد الجمعيات الأمريكية المؤيدة لإقامة دولة يهودية فى فلسطين، حيث كان هدفها حشد الرأى العام الأمريكى من أجل تحقيق الأهداف الصهيونية فى فلسطين.

ففى عام ١٩٣٠ أسس تشارلى أى رسل، اتحاد المنظمات الأمريكية الموالية لفلسطين، والتى كانت تهدف إلى تشجيع التعاون بين اليهود وغيرهم من المسيحيين، بهدف الدفاع عن قضية الوطن القومى اليهودى. وفى عام ١٩٣٢ أسست اللجنة الأمريكية الفلسطينية للهدف ذاته. وقد ساعدت هذه الجمعيات وغيرها، كثيراً فى دعم مطالب الحركة الصهيونية، بسبب وجود وسط بروتستانتى ملائم لترويج الأفكار الصهيونية.

مركز ثقل الصهيونية ينتقل إلى أمريكا:

فى أربعينات القرن الحالى ازداد حجم الدعم الأمريكى للحركة الصهيونية، حيث

أدرك الزعماء الصهاينة أن مركز الثقل فى عملهم قد بدأ ينتقل من بريطانيا إلى أمريكا. فبعد أن أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض فى عام ١٩٣٩ والذى حد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، قابل الزعماء الصهاينة والمتعاطفون معهم، هذا الكتاب بالرفض والاستنكار، وبدأوا يشعرون أن بريطانيا بدأت تتخلى عنهم ولو جزئياً بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية، هذا التحول دفع الزعماء الصهاينة لتركيز جهودهم فى الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد كتب بن جوريون فى عام ١٩٤٠ يصف مشاعره فى هذه الفترة، فقال: «أما أنا فلم أكن أشك فى أن مركز الثقل بالنسبة لعملنا السياسى كان قد انتقل من بريطانيا إلى الولايات المتحدة، التى كانت قد احتلت المرتبة الأولى فى العالم كدولة كبرى» (٢٠).

وعندما اجتمع الزعماء الصهاينة فى مؤتمر بلتمور فى عام ١٩٤٢ ، قرروا نقل جهودهم إلى أمريكا لكى تساعدهم فى تحقيق مطالبهم. فقد أعلن بن جوريون أمام المؤتمر، أن اليهود لم يعد باستطاعتهم الاعتماد على الإدارة البريطانية فى تسهيل إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين.

العمل من أجل إلغاء الكتاب الأبيض:

لقد كان كل هم الزعماء الصهاينة والمتعاطفين معهم فى هذه الفترة، إلغاء الكتاب الأبيض الذى أصدرته بريطانيا فى عام ١٩٣٩ ، والذى يحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين. لهذا فقد نشط المتعاطفون مع الحركة الصهيونية فى هذا الوقت.

«فبمعونة ١٠٠٠٠ زعيم صهيونى فى الديار الأمريكية استطاع مجلس الطوارئ الذى شكلته الحركة الصهيونية، الحصول على قرار ضد الكتاب الأبيض من جميع المنظمات اليهودية الكبرى والجمعيات المهمة، أمثال الليونز والدلكس والروتارى ونادى السيدات العاملات فى التجارة، والمهن الحرة وغيرها من الجمعيات والنوادى. كما أن نقابات العمال وجمعيات الكنائس انضمت ضد الكتاب الأبيض» (٢١).

وفى آذار عام ١٩٤٤ قدم بعض أعضاء مجلس الشيوخ إلى لجنة الشئون الخارجية، مشروع قرار يدعو إلى إلغاء الكتاب الأبيض البريطانى، وتأييد خطة إنشاء دولة يهودية

فى فلسطين، ولكن المستر جورج مارشال وزير الخارجية، ورئيس أركان الجيش الأمريكى آنذاك، تدخل وطلب من اللجنة عدم بحث ذلك الاقتراح، خوفاً من إثارة الرأى العام العربى وانعكاس ذلك على الموقف العسكرى، فنزلت لجنة الشئون الخارجية عند طلب المستر مارشال، وأرجأت البحث فى الاقتراح المقدم لها.

وبعد بضعة أشهر تغير مجرى الحرب نهائياً لصالح الحلفاء، فأرسل المستر مارشال نفسه كتاباً إلى السناتور واغنر، عضو مجلس الشيوخ الأمريكى، قال فيه: «إن الاعتبارات العسكرية التى حملته فيما مضى على معارضة بحث ذلك الاقتراح قد زالت[٢٢].

وفى فبراير ١٩٤٥ وقع خمسة آلاف قسيس بروتستانتى أمريكى، عريضة رفعوها إلى الحكومة ومجلس الأمة والكونجرس، يطالبون فيها بفتح أبواب فلسطين على مصراعيها للهجرة اليهودية، وقد قامت وكالات الأنباء ومحطات الإذاعة والصحافة بدعاية واسعة النطاق لمشروع إنشاء دولة يهودية فى فلسطين»[٢٣].

وبالرغم من أن هذا التعاطف الكبير مع الحركة الصهيونية، من قبل الجمعيات والمؤسسات العامة خلال عشرينات القرن الحالى وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية، لم يرافقه موقف عملى واضح من الحكومة الأمريكية، إلا أن ذلك لم يكن لعدم إيمان الرؤساء الأمريكيين ـ فى تلك الفترة ـ بأهداف الحركة الصهيونية، بل لأن بريطانيا فى ظل انتدابها على فلسطين كانت تقوم بتقديم كافة التسهيلات والمساعدات للحركة الصهيونية. ولذلك لم يكن هناك أى داع لتدخل أمريكا مادامت بريطانيا تقوم بنفس العمل وعلى أكمل وجه.

هذا بالإضافة الى أن الرؤساء الأمريكيين فى تلك الفترة كانوا يعتبرون أن فلسطين هي من جملة المسئوليات البريطانية فى الشرق الأوسط، ولذلك فان روزفلت خلال مدد ولاياته الثلاث كأسلافه، لزم بدقة الموقف الأساسى الذى كان قائماً خلال الفترة التى كان هيوز فيها بالحكم، وهو أن الأحكام الخاصة بإنشاء وطن قومى يهودى الواردة فى سلك الانتداب، لم تكن فى عداد المصالح الأمريكية، بل إنها من الشئون البريطانية»[٢٤]

هذا بالاضافة الى أمر آخر مهم، وهو ظروف الحرب العالمية الثانية التى فرضت على أمريكا عدم تأييد المطالب الصهيونية بصورة علنية، والسعى إلى استرضاء العرب حرصاً على الموقف العسكرى في المنطقة.

«ففى ٢٩ ديسمبر ١٩٤٢ أشار هال على الرئيس روزفلت بألا يبعث بأية رسالة إلى هيئة الصندوق القومى اليهودى، نظراً إلى الموقف فى الشرق الأوسط وأفريقيا الشمالية، حيث يسود شعور عنيف ضد الصهيونية فى صفوف الشعوب العربية. فقد أكدت كافة التقارير العسكرية والدبلوماسية المرسلة من البلاد العربية، خطورة إثارة العرب بالتصريحات المؤيدة للصهيونية»(٢٥).

لهذا فإن روزفلت، وفى محاولة منه لكسب ود الزعماء العرب، قطع وعداً للملك عبدالعزيز بن سعود ـ عاهل السعودية ـ بأنه لن يؤيد أى حركة من شأنها تسليم فلسطين لليهود.

روزفلت والأفكار الصهيونية:

بالرغم من أن الظروف السياسية والعسكرية، فرضت على روزفلت عدم تأييد مطالب الحركة الصهيونية، بصورة علنية، فإنه كان متعاطفاً مع اليهود، وكان أثر العهد القديم واضحا عليه، فقد اتخذ نجمة داود شعاراً رسمياً للبريد وللخوذات التى يلبسها الجنود فى الفرقة السادسة، وعلى أختام البحرية الأمريكية وطبعة الدولار الجديد وميدالية رئيس الجمهورية(٢٦) كما أنه دعا الى عقد مؤتمر ايفيان فى عام ١٩٣٨، لحل مشكلة اللاجئين فى أوروبا وبالذات اليهود منهم. فقد كان يريد روزفلت أن تكون فلسطين هى الحل لهذه المشكلة ولكن المؤتمر فشل فى اتخاذ أى حل.

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية قام موريس أرنست ـ يهودى ـ وأحد المقربين من الرئيس روزفلت، بزيارة للندن، لمحاولة ايجاد مأوى لليهود المهجرين فى بريطانيا وأمريكا، وإذا بروزفلت يعلن بأنه اقتنع تمام الاقتناع بأن ذلك البرنامج لن يحل المشكلة، لاسيما وأن قادة الصهيونية فى أمريكا رفضوا هذا الحل. واستطرد قائلاً: انهم على حق فى معارضتهم، لأنهم يدركون أن فلسطين يجب أن تصبح عاجلا أم آجلا الملجأ الأمين لجيئهم.

وهكذا نرى أن سياسة روزفلت تجاه فلسطين كانت غير واضحة، حيث أنه حاول أن يوفق بين عواطفه وميوله الصهيونية، وبين الضرورة السياسية والعسكرية التى فرضتها ظروف الحرب العالمية الثانية.

ولكن عندما أصبح انتصار الحلفاء مؤكداً أظهر ميوله الصهيونية الواضحة، حيث أكد بعد إعادة انتخابه فى يناير ١٩٤٥ تعهده لليهود بمساعدتهم علي إنشاء دولة يهودية فى فلسطين، ولكن القدر لم يمهله طويلاً حيث توفى فى ١٢ ابريل عام ١٩٤٥.

ترومان ـ قورش ـ العصر الحديث!

عندما تولي ترومان منصب الرئاسة خلفاً لروزفلت، كان من أكثر الرؤساء الأمريكيين تأييدا للمطالب الصهيونية. ففى ٣١ أغسطس عام ١٩٤٥، طلب الرئيس ترومان ـ نيابة عن الصهيونية ـ من رئيس الوزراء البريطانى أتلى، ادخال مائة ألف لاجيء يهودى إلى فلسطين، ولكن رد أتلى كان غير مشجع، حيث أنه اشترط أن تتحمل أمريكا الأعباء العسكرية والاقتصادية لتنفيذ هذا المطلب. ولكن الرئيس ترومان رفض ذلك وقال أنه لايرغب فى إرسال ٥٠,٠٠٠ جندى لإقرار السلام فى فلسطين.

ونتيجة لذلك بدأت اتصالات بين الحكومة البريطانية وبين الزعماء الصهاينة المدعومين من أمريكا، لتحقيق مطالبهم، ولكن هذه الاتصالات فشلت، مما دفع ترومان إلي تأييد الحل الصهيونى المتمثل بتقسيم فلسطين.

ترومان ومشروع التقسيم:

أصدر الرئيس ترومان فى ٤ اكتوبر بياناً بادر فيه إلى المطالبة بإدخال مائة ألف يهودى فوراً إلى فلسطين، كما أوصى بتطبيق خطة التقسيم حسب الخطوط التى اقترحتها الوكالة اليهودية، وقال ترومان :

«أنه كان يعتقد بأن حلاً على هذه الصورة سيصادف تأييدا من الرأى العام فى الولايات المتحدة، وصدفة على حد قوله، صدر هذا البيان فى يوم عيد كيبور ـ الغفران ـ اليهودى»[٢٧].

ولم يمض وقت طويل حتى صدر رد الفعل العربى على بيان ترومان، ففى رسالة

من الملك عبدالعزيز بن سعود، الى ترومان، اتهم فيها اليهود بأنهم يضعون مخططات ضد الأقطار العربية المجاورة، وانتهى الملك عبدالعزيز إلى القول، بأن بيان ترومان قد بدل الموقف الأساسى فى فلسطين، خلافاً للوعود السابقة.

وفى الرد على ذلك بتاريخ ٢٦ اكتوبر ١٩٤٦، ادعى ترومان، أن تأييد وطن قومى يهودى كان دائماً من صلب السياسة الأمريكية المنسجمة مع نفسها»[٢٨].

وبعد مشاورات عديدة رفع مشروع تقسيم فلسطين إلى الأمم المتحدة، حيث أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بعد أن قامت أمريكا بالضغط على كثير من الدول لتأييد المشروع، وبعد فترة تراجعت أمريكا عن هذا المشروع بسبب صعوبة تنفيذه، واقترحت وضع فلسطين تحت الوصايا، ولكن هذا الاقتراح لم يقبله الزعماء الصهاينة الذين كانوا يعدون العدة لإعلان قيام دولة إسرائيل بمجرد انتهاء الانتداب البريطانى عليها فى ١٥ مايو ١٩٤٨.

وعندما أعلن عن قيام دولة إسرائيل، اعترف الرئيس ترومان بها بعد دقيقة من إعلان قيامها، كما أنه قام بتصرف يخالف كل المبادىء الدبلوماسية المعروفة، عندما اعترف بدولة إسرائيل قبل أن تطلبه رسمياً وقبل انتهاء الانتداب البريطانى بعشر ساعات.

حرب عام ١٩٤٨:

لم يقف تأييد ترومان للحركة الصهيونية عند هذا الحد، بل إنه استطاع أن يحل أصعب مشكلة مرت بها الدولة الوليدة.

فعندما دخلت سبعة جيوش عربية أرض فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨، استطاعت هذه الجيوش تحرير كثير من الأراضى الفلسطينية، وضيقت الخناق على الجيش الإسرائيلى، بحيث أصبح فى وضع حرج وهنا أحس ترومان بأن القتال الدائر فى فلسطين يسير لصالح الجيوش العربية، وأصبح قلقاً على مصير الدولة التى عمل على إنشائها على أرض العرب، فمارس ضغوطاً مباشرة على المندوبين فى مجلس الأمن للحصول على قرار بوقف القتال بأى طريقة يمكن التوصل اليها.

اتفاقية الهدنة:

بعد مناقشات ومشاورات وملاحقات وضغوط من الرئيس ترومان شخصياً، وبناء على اقتراح المستر دوجلاس، المندوب البريطاني، وفى ٢٩ مايو ١٩٤٨ أقر مجلس الأمن الدولى الموافقة على وقف القتال فى فلسطين بموجب هدنة يتم الاتفاق عليها عن طريق وسيط دولى، وقد تم تعيين الكونت برنادوت وسيطاً دولياً، حيث استطاع التوصل الى اتفاق للهدنة لمدة أربعة أسابيع.

ونصت اتفاقية الهدنة الأولى على أن يحتفظ كل طرف بالمكان الموجودة فيه قواته فى ذلك الوقت، ولا يحق لأى طرف استغلال الهدنة والحصول على مكاسب عسكرية، سواء باحتلال الأراضى أو جلب الامدادات البشرية والأسلحة. ولكن إسرائيل لم تلتزم بهذه الهدنة، حيث عملت على جلب مزيد من المتطوعين والأسلحة من الخارج بمساعدة سرية من أمريكا وبريطانيا، فى الوقت الذى فرض حظر على تصدير الأسلحة للدول العربية.

فأصبح لدى إسرائيل بعد الهدنة الأولى ٩٠,٠٠٠ مقاتل كقوات هجومية مسلحة بالدبابات والمدفعية والطيران. كما أن إسرائيل استطاعت فى ظل هذه الهدنة تنظيم جيشها والاستيلاء على مزيد من الأراضى العربية، بحيث أصبح ميزان القوى لصالحها بفارق كبير.

وهكذا كانت موافقة الدول العربية على الهدنة خطوة متسرعة وغير محسوبة، وربما جاءت رضوخاً لضغوط خارجية، لأن الجيش الإسرائيلى كان فى وضع صعب. وقد عبر مناحم بيجين ـ فى مذكراته ـ عن استغرابه وتعجبه لقبول الدول العربية للهدنة بالرغم من أن الموقف كان فى صالحها، كما أن موشى ديان، الذى كان من كبار ضباط الجيش الإسرائيلى فى ذلك الوقت، قال: «كانت الهدنة بالنسبة لنا كأنها قطرة ندى قادمة من السماء»(٢٩).

وقبل انتهاء فترة الهدنة الأولى اقترح الوسيط الدولى برنادوت، أن تجدد الهدنة إلى

أجل غير محدود، ووافقت الدول العربية على الهدنة الجديدة فى ١٧ تموز ١٩٤٨، ولكن إسرائيل لم تلتزم بالهدنة الجديدة، حيث احتلت مزيداً من الأراضى الفلسطينية وشردت مزيداً من السكان. وبعدها أجبرت الدول العربية على الدخول فى مفاوضات مع اسرائيل لعقد هدنة دائمة، حيث وقعت الدول العربية كل على انفراد معاهدات للهدنة مع إسرائيل فى جزيرة رودس فى عام ١٩٤٩.

وتكمن أهمية إتفاقات الهدنة لدولة إسرائيل فى أنها حصلت عن طريقها على مكاسب عديدة، فقد حصلت إسرائيل على مزيد من الأراضى العربية، كما ان اتفاقات الهدنة أتاحت لإسرائيل فترة من الاستقرار كانت بأمس الحاجة إليها، لبناء مرافق الدولة الجديدة وجلب مزيد من المهاجرين، كما أن اسرائيل فى هذه الفترة استطاعت أن تحقق تفوقا عسكرياً على الدول العربية.

صهيونية ترومان:

من العرض السابق يمكننا تقدير حجم المساعدة التى قدمها الرئيس ترومان لدولة إسرائيل قبل وبعد إنشائها، ابتداء من دعوته لفتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية وتبنيه لقرار التقسيم واعترافه بدولة إسرائيل، وانتهاء باتفاقية الهدنة التى عقدت بين اسرائيل والدول العربية.

فقد كان ترومان صهيونيا أكثر من الصهاينة، حيث انعكس ذلك على سياسته تجاه المسألة الفلسطينية، والتى كانت سياسة رئاسية تم تنفيذها من جانب واحد رغم معارضة كثير من المستشارين الحكوميين لها، والذين كانوا يرسمون سياسة بلادهم الخارجية بناء على مصالحهم القومية، وليس بناء على عواطف دينية أو غيرها. لهذا فقد حدث أكثر من مرة أن تضاربت قرارات ترومان مع قرارات وزارة الخارجية ومستشاريه.

ففى إحدى المرات كان مندوب الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة، يطالب بشدة بوضع فلسطين تحت الوصاية، من غير أن يعلم بأن الرئيس ترومان قد اعترف قبل ذلك بقليل بدولة إسرائيل.

وقد اعترف ترومان نفسه بحقيقة سياسته هذه حيث قال في مذكراته: «لقد كنت أعلم بأن المستشارين جميعاً لاينظرون إلى المسألة الفلسطينية نظرتي أنا إليها، وأكثر من ذلك، كان الاختصاصيون من موظفي وزارة الخارجية في شئون الشرق الأوسط جميعهم تقريباً ضد فكرة دولة يهودية»(٣٠)

ولكن ماهي نظرة ترومان للمسألة الفلسطينية، التي جعلته يخالف جميع مستشاريه ويتحدى مشاعر جميع العرب والمسلمين؟!

إنها نظرة شخص تربى على تعاليم الكنيسة المعمدانية، التي تتبع مذهب العصمة الحرفية في تفسيرها للكتاب المقدس، وهذا يعني الإيمان بصورة حرفية بكل ماجاء في العهد القديم من أخبار ومعلومات تاريخية ونبوءات من غير تأويل. لهذا فان اتباع هذه الكنيسة من أكثر المتحمسين للحركة الصهيونية، حيث يؤمنون بضرورة قيام دولة إسرائيل تحقيقا للنبوءات التوراتية.

لقد كان واضحاً أثر هذه الأفكار على ترومان وحياته، فقد كان يؤمن ـ باعتباره أحد تلاميذ التوراة ـ بالتبرير التاريخي لوطن قومي يهودي، وكانت لديه قناعة بأن وعد بلفور، حقق آمال وأحلام الشعب اليهودي القديمة.

كما كان واضحاً أثر الثقافة اليهودية والعهد القديم عليه، وكيف لا، وهو يعتبر التلمود اليهودي كتابه المفضل. ولهذا كانت هديته لليهود عام ١٩٤٦، في عيد الغفران ـ كيبور ـ تأييده لمشروع تقسيم فلسطين.

كما عرف عنه حبه الشديد للفقرة الواردة في المزمار ١٣٧ والتي تقول: «لقد جلسنا على أنهار بابل وأخذنا نبكي حين تذكرنا صهيون»(٣١)

لقد كان ترومان يرى أن خدماته العظيمة التي قدمها لليهود تجعله يرقى إلى مقام الملك الفارسي قورش، الذي أعاد اليهود من منفاهم في بابل، إلى فلسطين. «فعندما قدمه إيدي جاكسوبون الى عدد من الحاضرين في معهد لاهوتي يهودي، وصفه بأنه الرجل الذي ساعد على خلق دولة اسرائيل. فرد عليه ترومان بقوله:

وماذا تعنى بقولك ساعد على خلق دولة إسرائيل. فرد عليه ترومان بقوله: وماذا تعنى بقوله ساعد على خلق؟ إننى قورش... إننى قورش»[٣٢]

المساعدات الأمريكية لإسرائيل:

بعد أن أتم ترومان ـ قورش ـ مهمته على أكمل وجه، لم يكن هناك شيء ذو أهمية كبيرة يمكن أن تقدمه أمريكا لإسرائيل فى الخمسينات ومطلع الستينات من هذا القرن.

فقد كان تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية وجلب المهاجرين الجدد من الخارج، والإبقاء على التفوق العسكرى، يحتل مكان الصدارة فى اهتمامات إسرائيل في هذه الفترة. وقد استطاعت إسرائيل تحقيق هذه الأهداف بمساعدة أمريكا وحلفائها.

فعلى صعيد تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية، لعبت أمريكا دوراً مهماً فى تأمين المساعدات المالية لإسرائيل، حيث مارست ضغوطاً كبيرة على ألمانيا لإجبارها على دفع تعويضات لدولة إسرائيل عن اليهود الذين قيل أنهم قتلوا فى العهد النازى، حيث كانت هذه التعويضات مصدراً مهما للأموال اللازمة لعملية التنمية والبناء.

ومن ناحية أخرى، قدمت أمريكا كثيراً من المساعدات المالية لإسرائيل فى هذه الفترة.

فعلى سبيل المثال، بلغت المنح التى قدمتها أمريكا لإسرائيل من سنة ١٩٥٠ وحتى ١٩٥٩ حوالى ٤٠٣٥ مليون دولار، وقروضا قدرها ٣٦٩ مليون دولار، ومساعدات فنية قدرها ٣٥ مليون دولار وأجهزة علمية قيمتها ١٠ ملايين دولار، واستثمارات أمريكية بمبلغ ٩٥ مليون دولار، وحصيلة بيع السندات الاسرائيلية مبلغ ٣٤٧ مليون دولار، هذا عدا الإعفاءات من الضرائب والرسوم التى تمنحها الحكومة الأمريكية على ما يحصل من اليهود وما يتم جمعه عن طريق الجمعيات والمنظمات الأمريكية المؤيدة لإسرائيل»[٣٣]

أما على صعيد جلب المهاجرين الجدد، فقد تدفق الكثير منهم إلى إسرائيل منذ إعلان قيامها من كافة البقاع بدون أى مشاكل، ولم تكن هناك مشكلة فى وصول

المهاجرين اليهود إلا بالنسبة ليهود الدول العربية. وقد ساعدت أمريكا على حل هذه المشكلة.

فعلى سبيل المثال، أقامت طائرات سلاح الجو الأمريكي بشكل سرى فى مطلع الخمسينات بنقل٦٥ ألف يهودى يمنى إلى إسرائيل [٣٤].

أما بالنسبة الى تحقيق التفوق العسكرى، فقد حققته إسرائيل بمساعدة أمريكا وحلفائها من خلال حرب ١٩٤٨ ، وما تبعها من تدفق للأسلحة على إسرائيل، فى ظل فرض حظر على تزويد الدول العربية بالأسلحة.

وحتى فى اللحظة التى استطاعت إحدى الدول العربية، وهى مصر، الحصول على أسلحة من الخارج فى عام ١٩٥٥ ، قامت إسرائيل فى عام ١٩٥٦ بالتعاون مع فرنسا وبريطانيا، بشن العدوان الثلاثى على مصر، لتدمير القوة العربية الجديدة، من أجل الإبقاء على التفوق العسكرى الإسرائيلى والحصول على مكاسب جديدة.

ايزنهاور:

هكذا يبدو واضحاً أن اسرائيل فى هذه الفترة لم تكن بحاجة إلى الدعم الأمريكى الصارخ كما كان الحال فى عهد ترومان.

لذلك كان المجال مفتوحاً أمام أيزنهاور لتقليل حجم الدعم الأمريكى العلنى لإسرائيل، لامتصاص رد الفعل العربى الساخط على التحيز والتآمر الأمريكى التام على العرب أيام ترومان.

كما أن الظروف الدولية والاقليمية، ساعدت على تحجيم هذا الدعم. فقد كان تركيز ايزنهاور فى هذه الفترة ينصب على احتواء المد السوفيتى فى العالم، والحيلولة دون انتشاره فى العالم العربى كما أن ظروف المنطقة العربية ومد القومية العربية الجارف ساهم فى تحجيم هذا الدعم إلى أدنى مستوياته.

لهذا كان الموقف الأمريكى تجاه العرب يبدو وكأنه معتدل نسبياً، حيث ركزت السياسة الأمريكية فى هذه الفترة على تخويف الدول العربية من الخطر السوفيتى لحثها على الدخول فى تحالفات إقليمية لمواجهة الخطر السوفيتى المزعوم، أو لعقد معاهدات سلام مع إسرائيل.

وبالرغم من هذا الاعتدال الظاهرى للسياسة الأمريكية تجاه المنطقة العربية، فإنه لايجب اغفال حقيقة الالتزام الأمريكى الدينى تجاه اسرائيل فى هذه الفترة، والذى عبر عنه جون فوستر دالاس ـ وزير الخارجية الأمريكى فى عهد ايزنهاور ـ حيث أدلى بتصريح، أمام جمعية بنى بريت (أبناء العهد) بتاريخ ٨ مايو ١٩٥٨ قال فيه:

«ان مدنية الغرب قامت فى أساسها على العقيدة اليهودية فى الطبيعة الروحية للإنسانية، لذلك يجب أن تدرك الدول الغربية أنه يتحتم عليها أن تعمل بعزم أكيد من أجل الدفاع عن هذه المدنية التى معقلها إسرائيل»(٣٥).

جون كيندى الرئيس الكاثوليكى الوحيد:

تولى جون كيندى الحكم فى بداية الستينات، حيث كانت فترة ولايته من الفترات القليلة النادرة التى تم فيها ضبط السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى الإسرائيلى.

وقد جاء ذلك نتيجة لبعض العوامل الخارجية التى تكلمنا عنها سابقاً، والتى أدركها كيندى بوضوح، حيث كان يرى: «أن الانحياز الأمريكى فى النزاع العربى الإسرائيلى لا يهدد الولايات المتحدة فحسب، بل يهدد العالم بأسره»(٣٦).

يضاف إلى ذلك أن قناعات الرئيس كيندى الشخصية، بوصفه من اتباع الكنيسة الكاثوليكية، والرئيس الأمريكى الكاثوليكى الوحيد فى تاريخ أمريكا، لم تترك مكاناً للأفكار والنبوءات التوراتية فى وجدان الرئيس أو عقله.

ليندون جونسون:

للأسف لم يستمر هذا الموقف طويلاً، حيث اغتيل الرئيس كيندى فى ظروف غامضة وتولى الرئاسة من بعده ليندون جونسون الذى أعاد السياسة الأمريكية إلى سابق عهدها، حيث لم يتوان عن تقديم كافة أنواع الدعم الاقتصادى والسياسى والعسكرى لإسرائيل.

ففى عهده حصلت إسرائيل على صفقات كبيرة من الأسلحة الهجومية والمعدات اللازمة للحرب الإلكترونية، والتى تمكنت إسرائيل بفضلها من هزيمة الجيوش العربية فى عام ١٩٦٧ والاستيلاء على أراض شاسعة تفوق مساحتها، مساحة إسرائيل عدة مرات. وقد وصف وليم. بالكوانت ـ فى كتابه عقد من القرارات ـ علاقة جونسون بإسرائيل بقوله:

«إن عواطفه الشخصية تجاه إسرائيل كانت تبدو راسخة بالمحبة والإعجاب، وتشير الظواهر كلها الى أنه كان فعلاً يحب إسرائيل والإسرائيليين الذين تعامل معهم. كما عرف أقرب مستشاريه بصداقتهم لإسرائيل، اضافة الى أن اتصالاته المباشرة مع الجالية اليهودية الأمريكية كانت حميمة خلال مسيرة حياته»(٣٧).

وهناك تصريح لجونسون، أدلى به في سبتمبر ١٩٦٨ أمام جمعية بنات برث (أبناء العهد) ربما يلقى الضوء على أثر الأفكار والنبوءات التوراتية على سياسته تجاه الصراع العربى الإسرائيلى حيث قال فيه:

«إن بعضكم، إن لم يكن كلكم، لديكم روابط عميقة بأرض إسرائيل، مثلى تماماً، لأن إيمانى المسيحى ينبع منكم، وقصص التوراة منقوشة فى ذاكرتى، تماما مثل قصص الكفاح البطولى ليهود العصر الحديث، من أجل الخلاص من القهر والاضطهاد»(٣٨).

مستقبل إسرائيل والعالم؟!

عندما عبر الرئيس جونسون عن قناعاته الدينية التى تدفعه لدعم إسرائيل، فإنه لم يكن الوحيد الذى ينظر إلى الصراع العربى الإسرائيلى هذه النظرة الدينية، بل إنه كان يعبر عن وجهة نظر عامة سادت الأوساط الشعبية المتدينة فى أمريكا، وبالذات بعد الانتصار الإسرائيلى فى حرب ١٩٦٧.

فقد ساهم هذا الانتصار إلى حد كبير فى تزايد التيار المسيحى البروتستانتى المؤيد لاسرائيل، باعتبار أن ماحدث على أرض فلسطين ماهو الا تحقيق لنبوءات توراتية ولمشيئة إلهية.

لهذا لم يكن من المستغرب أن نجد عناوين الكتب والمقالات التى نشرت فى أمريكا وبعض الدول الأوربية، فى أعقاب حرب ١٩٦٧ من هذا الطراز الدينى المستمد من النصوص التوراتية، مثل (وانتصروا فى اليوم السابع)، (حرب إسرائيل المقدسة)، (عملية السيف البتار) (داوود وجوليات)، (أضربى ياصهيون) وغيرها.

وضمن الإطار نفسه، قامت بعض الجماعات الدينية المسيحية، بتوزيع منشورات وكراسات بعناوين مثل، (مستقبل إسرائيل والعالم) و(المخطط المقدسة للتاريخ)، حاولت فيها إظهار انتصار إسرائيل فى عام ١٩٦٧، وكأنه ينبثق عن الإرادة الالهية إذ

تبر بوعدها لشعب الله المختار، وتقوم باستباق الأحداث لتجعلها مطابقة لما جاء فى النصوص الدينية، ونبوءات العهد القديم من الكتاب المقدس.

وقد نشرت صحيفة الأنوار اللبنانية، صورة لمنشور (مستقبل إسرائيل والعالم) فى صفحتها الأولى فى ١٠ نيسان ١٩٦٨ . وهذه مقتطفات مما جاء فى هذا المنشور:

«إن العهد القديم من الكتاب المقدس لم يتنبأ بالأزمة التى نشهدها فى الشرق الأوسط فحسب، بل تنبأ بالانتصارات الإسرائيلية واحتلال القدس... وحتى توقيت هذه الأحداث فى حد ذاته.

لقد تنبأت نصوص الكتاب المقدس بمساحة أكبر من المساحة الواقعة بأيدى إسرائيل فى شباط ـ فبراير ـ ١٩٦٨ ، فالنص الوارد فى سفر التكوين (١٨ : ١٥) يوضح المسألة باختصار على أساس وعد إله اسرائيل بالأرض الممتدة من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات[٣٩].

غير أن الكثيرين يتساءلون عن صحة هذه النبوءات، ويزعم البعض الآخر، أن الأساس التوراتى لمزاعم إسرائيل الأرضية لا علاقة له بالموضوع... وأن الواقع المعاصر هو الذى يقوم بتعيين حدود الشرق الأوسط. ومع ذلك فإن النصوص المقدسة برهنت على صحتها فيما يتعلق بالأحداث حتى الآن، مما يقوى الحجة لصحتها فيما يتعلق بالأحداث المستقبلية أيضا»[٤٠].

وواضح من مضمون المنشور السابق أنه يفسر الأحداث الحاضرة والمستقبلية، التى جرت وستجرى فى منطقة الشرق الأوسط، على أسس دينية صرفة وكأنها ليست إلا تحقيقاً لوعود ونبوءات توراتية. وهذا أمر خطير جداً كما سيتضح لنا فيما بعد.

ريتشارد نيكسون والانتحار السياسي:

تولى ريتشارد نيكسون الرئاسة فى جو مشحون بالمشاعر الدينية والمؤيدة لإسرائيل، حيث لم يتوان عن تقديم كافة أنواع الدعم الاقتصادى والعسكرى والسياسى لإسرائيل، وذلك استجابة لرغبة الرأى العام المتدين من ناحية، وإرضاء لقناعاته الدينية من الناحية الأخرى.

فقد كان نيكسون من المتأثرين بالأفكار والنبوءات التوراتية، وكانت تربطه علاقات حميمة مع بعض رجال الدين المسيحيين المعروفين بتأييدهم لإسرائيل. وقد وصل تعاطف نيكسون مع إسرائيل الى الحد الذى جعله يقول: «إن استعداده للقيام بالانتحار السياسى، أكثر من استعداده لإلحاق الضرر بإسرائيل.»(٤١)

ولم يكن موقف نيكسون هذا نابعا من حرصه على الصوت الانتخابى اليهودى، أو غيرها من الأمور التى نسمع عنها. فاليهود لم يعطوه أكثر من ١٧٪ من أصواتهم الانتخابية فى عام ١٩٦٨، وبالرغم من ذلك كان دعمه المستمر لإسرائيل.

ولو استمررنا فى تتبع سياسات الرؤساء الأمريكيين تجاه الصراع العربى الإسرائيلى، فإننا سنجد على الدوام، أن خلفياتهم الدينية لعبت دورا حاسماً فى تشكيل سياستهم المنحازة لإسرائيل. يقول برنارد ريتس فى كتابه (الولايات المتحدة وإسرائيل):

«إن القادة السياسيين فى أمريكا وخاصة الرؤساء منهم، كانوا ولا يزالون يتبنون وجهة النظر الدينية المؤازرة لإسرائيل، سواء ويلسون وترومان اللذان يعترفان بالتأثير الدينى على قراراتهما، أو ليندون جونسون، الذى ينسب إليه قول مشهور أدلى به فى اجتماع لجمعية بنات برث ـ أبناء العهد ـ فى سبتمبر ١٩٦٨»(٤٢)

إن علاقة الرؤساء الأمريكيين بإسرائيل يصدق عليها قول الكاتب اليهودى الأمريكى جون بيتى، الذى قال: «إن الرؤساء الأمريكيين ومعاونيهم ينحنون أمام الصهاينة كما ينحنى المؤمن أمام قبر مقدس»(٤٣).

جيمى كارتر ينفذ أمرا إلهيا:

فى النصف الثانى من السبعينات وصل إلى الرئاسة الأمريكية، جيمى كارتر، الذى قام بجهد غير عادى لدعم إسرائيل، ثم تتويجه بتوقيع أول معاهدة سلام مع دولة عربية وهى مصر.

وقد وصف سايروس فانس وزير الخارجية الأمريكى آنذاك، سياسة كارتر تجاه الشرق الأوسط، فقال: «لم يكن محلاً للسؤال أن حجر الأساس فى سياسة كارتر حيال الشرق الأوسط، سيبقى هو التزامنا بأمن إسرائيل.»(٤٤) كما عبر كارتر نفسه عن العلاقة الأمريكية الإسرائيلية خلال مؤتمر صحفى فى عام ١٩٧٧، فقال:

«إن لنا علاقة خاصة مع إسرائيل، وإنه من المهم للغاية أنه لا يوجد أحد فى بلادنا أو فى العالم أصبح يشك فى أن التزامنا الأول فى الشرق الأوسط إنما هو حماية إسرائيل فى الوجود.. الوجود إلى الأبد، والوجود بسلام، إنها بالفعل علاقة خاصة.»(٤٥)

ولكن ماهى طبيعة هذه العلاقة الخاصة التى يتحدث عنها الرئيس كارتر؟ إنها بالتأكيد ليست علاقة مبنية على المصالح المشتركة، لأن المصالح تتغير من فترة إلى أخرى، وليس لها طابع الدوام وإلى الأبد.

إن هناك أمراً آخر هو الذى جعل هذه العلاقة خاصة، والالتزام نحوها أبدياً كما جاء فى تصريح كارتر السابق. وقد وضح الرئيس كارتر هذا الأمر بنفسه فى تصريح له أمام الكنيست الإسرائيلى فى مارس ١٩٧٩ حيث قال:

«إن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من علاقة خاصة، لقد كانت ومازالت علاقة فريدة لايمكن تقويضها لأنها متأصلة فى وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكى نفسه.

وفى احتفال أقامته على شرفه جامعة تل أبيب، وضح كارتر الأمر أكثر حيث قال: «إنه كمسيحى مؤمن بالله يؤمن أيضاً بأن هناك أمراً إلهياً بانشاء دولة إسرائيل»(٤٦)

فكارتر هنا ينفذ أمر المشيئة الإلهية بحذافيرها عندما يدعم إسرائيل،وكيف لا، وهو المسيحي المؤمن الملتزم بالصلاة فى الكنيسة كل أحد، والذى كان عضواً فى أكبر كنائس بلدته وأكثرها جاهاً، وكان معلماً وشماساً فى مدرسة الأحد، ويساهم كل عام فى أسبوع لايقاظ الروح الدينية فى المجتمع»(٤٧).

إن خلفية كارتر الدينية الصارمة، بوصفه أحد أتباع الكنيسة المعمدانية المعروفة بدعمها لإسرائيل، انطلاقا من إيمانها الشديد بكل ماجاء فى العهد القديم من نبوءات وأخبار تاريخية، هى التى رسمت سياسته تجاه إسرائيل.

ريجان ومعركة أرماجيدون!

لو تتبعنا سياسة رونالد ريجان تجاه الصراع العربى الإسرائيلى، فإننا سنجد أن النظرة

الدينية أيضاً هى التى حكمت سياسته تجاه إسرائيل، فقد صرح الرئيس ريجان بأنه كان يشعر عند الانتخابات الأمريكية بأن المسيح يأخذ بيده. وأنه سوف ينجح ليقود معركة (الأرماجيدون) التى يعتقد أنها ستقع خلال الجيل الحالى فى منطقة الشرق الأوسط (٤٨) وبالرغم من ذلك فانه لم يكن مديناً لليهود فى إعادة إنتخابه. فقد أعطوا ٦٨٪ من أصواتهم الإنتخابية للمرشح الديمقراطى والتر مونديل، الذى كان شعاره الانتخابى يقول: «إننى أفضل أن أخسر المعركة الإنتخابية واليهود يدعموننى على أن أربحها بدون أصوات اليهود ودعمهم»(٤٩).

هذا وقد عبر رونالد ريجان عن الأبعاد التوراتية لالتزام الولايات المتحدة الأمريكية ـ الأخلاقى والروحى والتراثى والأدبى ـ بإسرائيل بقوله، مخاطباً المدير التنفيذى للمنظمة الصهيونية (ايباك):

«حينما أتطلع إلى نبوءاتكم القديمة فى العهد القديم وإلى العلامات المنبئة بمعركة ارماجيدون ـ أى نهاية العالم ـ أجد نفسى متسائلاً، عما إذا كنا نحن الجيل الذى سيرى ذلك لاحقاً. ولا أدرى إذا كنت قد لاحظت مؤخراً أيا من هذه النبوءات، ولكن صدقنى إنها تنطبق على زماننا الذى نعيش فيه» ويقول أيضاً:

إن نهاية العالم قادمة، ويراها الرئيس كما تفسر النظريات معركة (ارماجيدون) حينما تغزو جيوش السوفيت والعرب وآخرين دولة إسرائيل، وستباد جيوش الغزاة بواسطة قنبلة ذرية محدودة وسيموت ملايين اليهود، أما المتبقى منهم فإنه سيتم إنقاذهم بواسطة جيش المسيح، والذى سيعود إلى الأرض لمعاقبة القوى المضادة للإسرائيليين وسيقضى على قوى الشر فى معركة تسمى ارماجيدون، وتقع فى سهل مجدو فى فلسطين، وستنتهى هذه المحنة بقبول اليهود للمسيح كمنقذ لهم، وبزوغ فجر عصر الألف عام السعيدة تحت حكم المسيح»(٥٠)

وآراء ريجان هذه ليست الأولى من نوعها، فلها سوابق كثيرة فى المكتب البيضاوى، ولكنها تعكس التصديق الواسع النطاق للنبوءات التوراتية واستخدامها لتبرير وجود إسرائيل.

الهوامش

١ ـ من أوراق واشنطن ـ د. يوسف الحسن ـ ص ١١٩.

٢ ـ أزمة الفكر الصهيوني ـ د. محمد ربيع ـ ص ٤٦.

٣ ـ الامبراطورية الأمريكية ـ كلود جوليان ـ ترجمة ناجي أبوخليل ـ ص ١٩.

٤ ـ من أوراق واشنطن ـ د. يوسف الحسن ـ ص ١١٩.

٥ ـ فلسطين ـ القضية * الشعب* الحضارة ـ بيان نويهض الحوت ـ ص ٢٨٨.

٦ ـ اليهودى العالمى ـ هنرى فورد ـ تعريب/ خيرى حماد ـ ص ٥٩.

٧ ـ من أوراق واشنطن ـ يوسف الحسن ـ ص ١١٩.

٨ ـ فلسطين ـ القضية* الشعب* الحضارة ـ ص؟

٩ ـ الاتصالات السرية ـ محمود عباس ـ ص ٢٨٦.

١٠ ـ اسرائيل الكبرى ـ أسعد رزوق ـ ص ٢١٩

١١ ـ الماسونية فى المنطقة ٢٤٥ ـ أبو إسلام أحمد عبدالله ـ ص ٥٢.

١٢ ـ جذور البلاء ـ عبدالله التل ـ ص ١٥٦.

١٣ ـ من أوراق واشنطن ـ د. يوسف الحسن ـ ص ١٢٠ ـ ١٢١.

١٤ ـ الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية ـ د. محمد شديد ـ ترجمة كوكب الريس ـ ص ٥٨.

١٥ ـ من أوراق واشنطن ـ د. يوسف الحسن ـ ص ١٢٠.

١٦ ـ إسرائيل الكبرى ـ د. أسعد رزوق ـ ص ٤٠٧.

١٧ـ الاتصالات السرية ـ محمود عباس ـ ٢٩.

١٨ ـ الصهيونية غير اليهودية ـ د. ريجينا الشريف ـ ص ١٩٥.

١٩ ـ الصهيونية الأمريكية وسياسة أمريكا الخارجية ـ ريتشارد ستيفن ـ ص ٧٥.

٢٠ ـ المصدر السابق ـ ٧٠.

٢١ ـ الصهيونية الأمريكية وسياسة أمريكا الخارجية ـ ريتشارد ستيفن ـ ص ٧٠.

٢٢ ـ المؤامرة الكبرى، اغتيال فلسطين ـ أميل الغورى ـ ص ١٥٠.

٢٣ ـ الاستعمار وفلسطين ـ رفيق التنشة ـ ص ٢٦٠.

٢٤ ـ الصهيونية الأمريكية وسياسة أمريكا الخارجية ـ ريتشارد ستيفن ـ ص ١٠٧.

٢٥ ـ المصدر السابق ـ ص ١١٤.

٢٦ ـ الصهيونية العالمية ـ جمال الدين الرماوى ـ ص ١٢٦.

٢٧ ـ الصهيونية الأمريكية ـ ريتشارد ستيفن ـ ص ٢٣٤.

٢٨ ـ المصدر السابق ـ ص ٢٣٤ .

٢٩ ـ الاستعمار وفلسطين ـ رفيق النتشة ـ ص ٢٤٤ .

٣٠ ـ إنى أتهم ـ روجيه ديلورم ـ ترجمة نخله كلاس ـ ص ٩١ .

٣١ ـ الصهيونية غير اليهودية ـ د. ريجينا الشريف ـ ص ٢٠٣ .

٣٢ ـ المصدر السابق ـ ص ٢٠٤ .

٣٣ ـ الناصرية ـ عبد الله إمام ـ ص ١٣٧ .

٣٤ ـ اندماج ـ يوسف الحسن ـ ص ٦٣ .

٣٥ ـ الماسونية فى المنطقة ٢٤٥ ـ أبو إسلام أحمد عبد الله ـ ص ٥٣ .

٣٦ ـ إنى أتهم ـ روجيه ديلورم ـ ترجمة نخله كلاس ـ ص ٨١ .

٣٧ ـ عقد من القرارات ـ وليم كوانت ـ ترجمة عبد الكريم ناصيف ـ ص٦٧ـ٦٨ .

٣٨ ـ الولايات المتحدة وإسرائيل ـ برنارد ريتش ـ ترجمة مصطفى كمال ـ ص١٧٩ .

٣٩ ـ إسرائيل الكبرى ـ د. أسعد رزوق ـ ص ٦٠٥ .

٤٠ ـ المصدر السابق ـ ص ٦٠٥ أو صحيفة الأنوار اللبنانية العدد ـ ٢٦٧٧ .

٤١ ـ الولايات المتحدة والدول العربية ـ أ. أ. أ. وسيبوف ـ ترجمة محمود شفيق الشعبان ـ ص١٩ .

٤٢ ـ الولايات المتحدة وإسرائيل ـ برنارد ريتش ـ ترجمة مصطفى كمال ـ ص١٧٨ .

٤٣ ـ التحدى الصهيونى ـ جاك دومال ـ ترجمة نزيه الحكيم ـ ص ٥٨ .

٤٤ ـ خيارات صعبة ـ مذكرات سايروس فانس ـ ص ٩ .

٤٥ ـ الولايات المتحدة وإسرائيل ـ برنارد ريتش ـ ص ١٧٩ .

٤٦ ـ مجلة المستقبل ـ عدد ٧٣٣ ـ السنة الرابعة ـ تاريخ ١٦ ـ ٣ ـ ١٩٨٣ .

٤٧ ـ لماذا ننشد الأفضل ـ جيمى كارتر ـ ص ٢١٨ : ٢١٩ .

٤٨ ـ المسخ الدخال ـ سعيد أيوب ـ ١٦٧ .

٤٩ ـ اندماج ـ يوسف الحسن ـ ص ٦٧ .

٥٠ ـ ريجان الرجل والرئيس ـ تأليف مجموعة من الصحفيين الأمريكيين ـ ص٧٨ .

الفصل الخامس

تنامى التيار الدينى المسيحى الأصولى فى أمريكا

فى ثمانينات القرن الحالى، صعد وتنامى التيار الصهيونى غير اليهودى، وصار يشكل أكبر وأقوى قوة متنامية مؤيدة لإسرائيل على المسرح السياسى الأمريكى، خاصة بعد أن امتد نفوذه إلى عقول وجيوب الملايين وامتلك شبكة تليفزيونية وإذاعية هائلة وبتقنية متقدمة للغاية وباستخدام الأساليب الاستعراضية الدينية فى التليفزيون أو ما تسمى الآن ـ الكنيسة التليفزيونية أو الديانة فى الأوقات المناسبة» [١].

ولما كانت عضوية الكنائس البروتستانتية المحافظة قد اتسعت خلال العقد الماضى، فإن هذا الاتجاه، المسيحى الصهيونى نحو الشرق الأوسط، يجد من ينتصر له فى منابر مختلفة متزايدة، كالكنائس والإذاعات وحتى قاعات الكونجرس.

أسباب البركة فى أمريكا؟!

عندما عقدت منظمة، إيباك الصهيونية مؤتمرها السياسى السنوى للعام ١٩٨١، ألقى سناتور إيدوار روجر، و. جبسن، كلمة أمام المؤتمر قال فيها:

«إن من أسباب تأييده الحيوى الذى لا يتغير لإسرائيل، هو دينه المسيحى، وقال: إن المسيحيين وبخاصة الإنجيليون، هم من أفضل أصدقاء إسرائيل منذ ولادتها الجديدة عام ١٩٤٨.

وقال أيضاً: أعتقد أن أسباب البركة فى أمريكا عبر السنين، أننا أكرمنا اليهود الذين لجأوا إلى هذه البلاد، وبورك فينا لأننا دافعنا عن إسرائيل بانتظام، وبورك فينا لأننا اعترفنا بحق إسرائيل فى الأرض» [٢].

جيرى فالويل ومنظمة الأغلبية الأخلاقية:

وهذا أيضا جيرى فالويل زعيم منظمة الأغلبية الأخلاقية، والصديق الشخصى

لمناحيم بيجن وإسحق شامير والمحافظ الذى يحظى بأكبر قدر من الإعجاب خارج الكونجرس، يجسد الصلة المتنامية بين المسيحية الأصولية والصهيونية، حين قال فى كتاب صدر له بعنوان (جيرى فالويل واليهود):

«إن إسرائيل تحتل الآن مكان الصدارة فى نبوءات الكتاب المقدس، وإنى أومن أن عهد الوثنيين ـ يقصد العرب والمسلمين ـ قد ولى بسيطرة اليهود على الأرض المقدسة فى عام ١٩٦٧، أو أنه سينتهى فى القريب العاجل. وإنى على قناعة بأن معجزة إنشاء دولة إسرائيل فى عام ١٩٤٨ كان بفضل العناية الإلهية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وأن الإله وعد مراراً فى العهد القديم بأنه سيجمع الشعب اليهودى فى الأرض التى وعدها إبراهيم، وأعنى بها أرض إسرائيل الآن، ولقد أوفى الإله بوعده، وأن إنشاء دولة إسرائيل لدليل ثابت على أن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب حى كريم، وستبقى دولة إسرائيل محور التاريخ.

ويقول أيضاً: «لا أعتقد أن فى وسع أمريكا أن تدير ظهرها لشعب إسرائيل وتبقى فى عالم الوجود، والرب يتعامل مع الشعوب بقدر ما تتعامل هذه الشعوب مع اليهود.

وجيرى فالويل هذا يقوم بإنتاج برنامج دينى اسمه ـ ساعة من أزمان الإنجيل ـ يتم إذاعته من ٣٩٢ محطة تليفزيونية ومن حوالى ٥٠٠ محطة إذاعية كل أسبوع، كما أنه يقوم بتنظيم رحلات إلى إسرائيل للمسيحيين الذين ولدوا من جديد، كما يسميهم»[٣].

وتقديراً لجهوده، فقد أوعز مناحيم بيجن، بمنحه ميدالية اعترافاً بتأييده الثابت لإسرائيل، حيث تم تقليده هذه الميدالية فى عام ١٩٨٠ خلال مأدبة عشاء أقيمت فى نيويورك بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد الزعيم الصهيونى جابوتنسكى.

تأييد إسرائيل عمل لاهوتى!

إذا كان فالويل من أشهر المتحدثين بلسان المسيحيين المحافظين أو أتباع مذهب العصمة الحرفية الذين يصل تعدادهم إلى أكثر من ٣٠ مليون أمريكى، فإن هناك الكثير من المسيحيين البروتستانت فى أمريكا ينظرون إلى الشرق الأوسط، على الأقل من منظار الصلة الدينية بإسرائيل، ويرون فى تأييدهم لها عملاً لاهوتياً، إذ ينسبون

لإسرائيل دوراً بارزاً فى تفسير التعاليم المسيحية. فهم يعتقدون من جهة، أن إسرائيل تستحق التأييد المسيحى لأن وجودها هو تحقيق لنبوءات التوراة، ودليل على صدق الكتاب المقدس، ويكثرون من الاستشهاد بفقرات من العهد القديم دفاعاً عن هذا الرأى. ويدعم عدة مسيحيين إسرائيل من جهة ثانية لاعتقادهم بأن اليهود مازالوا كما كانوا زمن التوراة، شعب مختار.

إسرائيل مفتاح أمريكا للبقاء!!

حدث فى صيف ١٩٨٣، أن أذاع مايك إيفانس، قسيس بدفورد فى تكساس، برنامجاً تليفزيونياً خاصاً ولمدة ساعة كاملة، بعنوان ـ إسرائيل مفتاح أمريكا للبقاء ـ حيث استغله ليصف الدور الحاسم الذى تلعبه إسرائيل فى مصير الولايات المتحدة، السياسى والروحى، وادعى بأن تخلى إسرائيل عن الضفة الغربية وغيرها من الأراضى المحتلة بعد حرب ١٩٦٧، سوف يجر إلى دمار إسرائيل ومن بعدها الولايات المتحدة، وختم إيفانس برنامجه بنداء وجهه للمسيحيين، يناشدهم فيه بتوقيع، بيان البركة لإسرائيل، وقال: إن هذا البيان مهم بنوع خاص لأن الحرب مقبلة ـ يقصد معركة أرماجيدون ـ وعلينا أن نطلع رئيسنا (ريجان ـ ورئيس الوزراء ـ بيجن) على شعورنا نحن الأمريكيين نحو إسرائيل. وعن سبب إنتاجه لهذا البرنامج الذى أذيع فيما لا يقل عن ٢٥ ولاية أمريكية، قال إيفانس: إن الرب أمرنى بوضوح بإنتاج هذا البرنامج الخاص بدولة إسرائيل.

«وفى سنة ١٩٨٤ جمع إيفانس توقيعات مليون مسيحى لالتماس دولى بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، وفى مجلدين ممتلئين حمل ايفانس التوقيعات إلى إسرائيل وقدمها إلى شامير رئيس الوزراء. وكتب ايفانس وقتها يقول: إن عينى شامير أغرورقتا بالدموع، وقال: إن أولئك المسيحيين يحبوننا حباً عظيماً!»(٤).

أمريكا قوية لأنها تقف مع إسرائيل!

يعلن كثير من رجال الدين البروتستانت فى أمريكا، أمثال جيم بيكر وكينت كوبلان وجيمى سواجارت وغيرهم، من خلال الإذاعات ومحطات التليفزيون، عن تأييدهم لإسرائيل، استناداً لما ورد فى الكتاب المقدس. فهذا جيمى سواجارت(٥) الذى

يعتبر من أشهر رجال الدين المسيحى فى أمريكا، يتحدث أكثر ويعمل أكثر لصالح إسرائيل، على أسس توراتية.... حيث يعتبر قيام إسرائيل ضرورة لاهوتية للعودة الثانية للمسيح. ويكشف سواجارت فى برامجه ومنشوراته الكنسية عن صهيونيته التوراتية، حيث يقول: إن أمريكا مرتبطة بحبل ميلاد سرى مع إسرائيل، وأن الله يبارك الذين يباركون إسرائيل ويلعن لاعنيها.... إن أمريكا قوية لأنها تقف مع إسرائيل»[٦].

القول مقرون بالعمل:

لا يجب أن نعتقد أن هذا التيار الدينى المسيحى فى الولايات المتحدة الأمريكية، يكتفى فقط بإلقاء الخطب الرنانة وتوقيع بيانات التأييد لإسرائيل، بل إنه يمارس ضغوطاً هائلة على صناع القرار فى أمريكا من أجل دعم أكبر لإسرائيل، ويكون حاضراً فى أى نقاش أو أى قضية تكون إسرائيل طرفاً فيها، سواء فى الصحافة أو الإذاعة والتليفزيون وحتى فى قاعات الكونجرس والاجتماعات الشعبية، فكانت النتيجة أن أصبح الكلام بحرية عن الشرق الأوسط وسياسة أمريكا فى المنطقة، مقيداً حتى قبل أن يبدأ»[٧].

وقد نجح هذا التيار المسيحى الأصولى فى الحصول على ما يريد فى أغلب الأحيان، بسبب تنظيمه وتوحيد جهوده من خلال منظمات وجمعيات منتشرة فى طول وعرض الولايات المتحدة الأمريكية، يزيد عددها على أكثر من ٢٥٠ منظمة وجمعية، من أبرزها، منظمة الأغلبية الأخلاقية ومؤسسات روبرتسون الإعلامية التى تمتلك محطة تليفزيون وإذاعة الشرق الأوسط فى جنوب لبنان، ومؤسسة السفارة المسيحية الدولية، ومؤسسة المعبد، وجماعة حق الدين وغيرها الكثير.

وتقوم هذه الجمعيات والمنظمات بإحياء وتنظيم مناسبات عديدة تضامناً مع إسرائيل، مثل يوم الاعتراف بإسرائيل، وسبت التضامن مع إسرائيل، وحفلات الفطور تكريماً لإسرائيل والتى أصبحت حدثاً سنوياً تقوم بتنظيمها جماعة المائدة المستديرة.

وفى أحد الاحتفالات أصدرت لجنة صلاة الفطور، بيانها الخاص لمباركة إسرائيل، باسم ما يزيد على خمسين مليون مسيحى يؤمنون بالتوراة فى أمريكا، وتضمن البيان خليطاً عجيباً من النقاط الدينية والسياسية والعسكرية، تشمل ما يلى:

دعوة للتعاون الاستراتيجى مع إسرائيل يعقبها نداء إلى إله إسرائيل الذى أعطى

العالم عبر الشعب اليهودى الكتب السماوية.... مختارات من الكتاب المقدس تؤكد حق اليهود الإلهى فى الأرض.... ثم دعوة لنقل السفارة الأمريكية إلى القدس، مشفوعة بوصية تقول: إن حدود الأرض المقدسة التى رسمها الكتاب المقدس، لا يمكن أن تغيرها رمال المقتضيات السياسية والاقتصادية المتحركة»[٨].

السفارة المسيحية الدولية:

تعتبر منظمة السفارة المسيحية الدولية، من أكثر المنظمات والقوى الصهيونية المعاصرة انتشاراً ونفوذاً على الساحة الدولية. وقد ولدت هذه المنظمة فى نهاية سبتمبر ١٩٨٠ حينما اجتمع أكثر من ألف رجل دين مسيحى جاءوا من أكثر من ٢٣ دولة، فى مؤتمر بمدينة القدس، تعبيراً عن الدور المركزى لهذه المدينة فى فكر وحركة الصهيونية المسيحية المعاصرة. وقد جاء تأسيسها أثر رفض المجتمع الدولى لقرار الحكومة الإسرائيلية اعتبار القدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، وكرد فعل على قيام عدد من دول العالم بنقل سفاراتها من القدس إلى تل أبيب.

وقد افتتحت السفارة مكاتب لها فى القسم الغربى من مدينة القدس، وأعلنت عن افتتاح أكثر من ٣٧ قنصلية لها فى دول العالم، وأخذ يدير هذه المكاتب رجال دين مسيحيون متعصبون للصهيونية. وقد اتخذت السفارة ولاية كارولينا الشمالية، مقراً لها وافتتحت فروعاً لها فى عدد كبير من المدن الأمريكية الرئيسية.

وتقوم هذه المراكز بجمع التبرعات لإسرائيل وعقد المؤتمرات وتسيير المظاهرات وحشدها، وبيع المنتجات الإسرائيلية، وتنظيم الرحلات السياحية إليها، وممارسة الضغوط السياسية على صانعى القرار فى دول العالم لصالح إسرائيل. ويؤمن أعضاء وأنصار هذه السفارة، بأنه على إسرائيل أن تمتد من النيل إلى الفرات. وقد اختصر زعيم هذه السفارة أهداف منظمته بقوله: إننا صهاينة أكثر من الإسرائيليين أنفسهم»[٩].

وتصل موازنة السفارة إلى أكثر من ١٠٠ مليون دولار، وملايين الأتباع، وعشرات الألوف من الأعضاء فى جميع أنحاء العالم. وقد نظمت السفارة على مدى الأعوام الماضية، مهرجانات ومسيرات حاشدة فى شوارع القدس، احتفالاً بتأسيس إسرائيل وبالأعياد الدينية اليهودية، مثل عيد العرش، شارك فيه آلاف المسيحيين الأصوليين.

وتستخدم السفارة، شبكة واسعة من أجهزة الإعلام لنشر أهدافها وتثقيف أتباعها فى كيفية خدمة القضايا الإسرائيلية. فهى تصدر مجلة اخبارية ربع سنوية، اسمها المراجعة، بالإضافة إلى عشرات الأوراق والنشرات والبيانات الدورية. وأنتجت فيلماً صهيونياً، وشكلت لجانا للعمل السياسى ونظمت حملات مستمرة من الرسائل البريدية إلى صانعى القرار فى عدد من دول العالم، وصارت تدعى لجلسات الاستماع فى الكونجرس الأمريكى، وفى نفس الوقت رتبت حملات لجمع الدم، دعماً لجنود إسرائيل أثناء غزو لبنان عام ١٩٨٢ ، وأنشأت فرقة للغناء سمتها، فرقة أغانى صهيون، وجمعت المساعدات المالية وشجعت بيع السندات الإسرائيلية داخل الكنائس الأمريكية.

وفى أواخر أغسطس ١٩٨٥ نظمت السفارة الدولية، أول مؤتمر صهيونى دولى فى مدينة بازل بسويسرا، وفى نفس القاعة التى انعقد فيها المؤتمر الصهيونى الأول بزعامة هرتزل. وقد شارك فى المؤتمر أكثر من ٦٠٠ رجل دين ومفكر مسيحى، قدموا من ٣٧ دولة، وهتفوا جميعاً بحياة إسرائيل الكبرى، وصلوا من أجل عاصمتها الموحدة والأبدية، القدس، وقرروا الانتشار فى الأرض تنظيماً وحركة لخدمة وحماية وتكملة المشروع الصهيونى.... ومن أجل إرضاء الرب أيضاً.

وقد اتخذ المؤتمر العديد من القرارات كان أبرزها[١٠]:

١ ـ الضغط باتجاه مزيد من الاعتراف الدولى بإسرائيل كدولة لليهود ودعم عمليات تجميعهم من شتى أنحاء العالم، وخصوصاً من الاتحاد السوفيتى، لاستيطان الضفة الغربية وغزة، وتكملة المشروع الصهيونى الممتد من الفرات إلى النيل تحقيقاً للنبوءات التوراتية.

٢ ـ مطالبة جميع الدول والمؤسسات الدولية والحكومية والخاصة، فتح أبوابها كاملة لمشاركة الإسرائيليين، وعلى الدول الصديقة الانسحاب من هذه التجمعات إذا ما طردت منها إسرائيل.

٣ ـ مطالبة جميع الأمم بالاعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، وبالتالى نقل سفاراتها إليها.

٤ ـ إدانة كل أشكال اللاسامية ضد اليهود.

٥ ـ مطالبة الدول الصديقة بالامتناع عن تسليح العرب، بما فيهم مصر.

٦ ـ تشجيع أطروحة توطين الفلسطينيين ـ يسميهم المؤتمر اللاجئين من إسرائيل ـ في الوطن العربي. وتوفير العدالة للاجئين اليهود العرب في إسرائيل.

٧ ـ دعم ومساندة الاقتصاد الإسرائيلي وإنشاء صندوق استثمار مسيحي دولي لهذه الغاية، مقره في أمستردام وبرأسمال مبدئي قدره مائة مليون دولار، ويخصص للصناعات التقنية والسياحية في إسرائيل.

٨ ـ مطالبة العالم بعدم الانصياع لأنظمة المقاطعة العربية لإسرائيل.

٩ ـ تعبئة الكنائس لنصرة إسرائيل وإنشاء تنظيمات بجذور شعبية لهذه الغاية، ومطالبة مجلس الكنائس العالمي بالاعتراف بالرابط التوراتي بين الشعب اليهودي وأرضه الموعودة ودولته إسرائيل.

١٠ ـ الصلاة انتظاراً للمجيء الثاني للمسيح ومملكته القادمة في القدس.

قرارات تتخذ لتنفذ:

لو تأملنا القرارات السابقة التي اتخذتها السفارة المسيحية الدولية في عام ١٩٨٥، والبيانات والمطالب التي طرحتها الحركة الأصولية الأمريكية خلال هذا العقد، وقارناها بالواقع الذي نعيشه الآن، فإننا سنجد أن كثيراً منها تحقق على أرض الواقع بطرق مختلفة خلال السنوات القليلة الماضية، وبالذات في عهد الرئيس الأمريكي جورج بوش، والتي يمكن إجمالها بالآتي:

١ ـ فتح أبواب الهجرة اليهودية على مصراعيها من الاتحاد السوفيتي ودول أوربا الشرقية وإثيوبيا، إلى إسرائيل، والمساعي الأمريكية مع سوريا واليمن لاتزال مستمرة لهذا الغرض.

٢ ـ ازدياد الاعتراف الدولي بإسرائيل، حيث انضمت دول مثل الاتحاد السوفيتي والصين ودول أوربا الشرقية، وكثير من الدول الأفريقية، إلى قائمة الدول المعترفة بإسرائيل والتي لها علاقات دبلوماسية معها.

٣ ـ دعم الاقتصاد الإسرائيلى بطرق كثيرة، كان آخرها موافقة الرئيس بوش على منح إسرائيل ضمانات قروض بقيمة ١٠ مليارات دولار أمريكى.

٤ ـ امتناع أمريكا عن تسليح الدول العربية بأى أسلحة يمكن أن تشكل خطراً على إسرائيل، وممارسة الضغوط من أجل منع الدول العربية من الحصول على أى أسلحة من مصادر أخرى، وحتى فى اللحظة التى تمكنت دولة عربية، وهى العراق، من تكوين قوة عسكرية كبيرة تهدد إسرائيل، قامت أمريكا بالتعاون مع أعوانها العرب بافتعال أزمة مع العراق وجرته إلى حرب قضت على قوته العسكرية.

٥ ـ وعلى صعيد تشجيع التعاون الدولى مع إسرائيل، قامت كثير من الدول وبضغط مباشر من أمريكا، بإلغاء العمل بقوانين المقاطعة العربية، كما تم إلغاء قرار الجمعية العامة الذى يساوى بين الصهيونية والعنصرية، وكل ذلك من أجل فتح آفاق جديدة أمام التعاون الدولى مع إسرائيل.

٦ ـ وفى مجال تشجيع أطروحة توطين الفلسطينيين فى الدول العربية، فقد انبثقت عن مؤتمر مدريد للسلام، لجنة خاصة لبحث قضية اللاجئين فى إطار المباحثات المتعددة الأطراف وليس فى إطار المباحثات الثنائية، وهذا يؤكد أن هدف هذه اللجنة هو حل مشكلة اللاجئين عن طريق توطينهم فى الدول العربية المضيفة لهم، وليس فى الأراضى العربية المحتلة، ولهذا رفضت إسرائيل طرح حق العودة فى هذه المفاوضات، كما أنها رفضت مشاركة فلسطينيى الشتات فى المفاوضات الثنائية. وقد مضى على تشكيل هذه اللجنة أكثر من سنتين ولم تتمكن حتى الآن من تحديد من هو اللاجئ!؟

٧ ـ وبالنسبة لقضية القدس فإنه لم يكن مصادفة أن يعلن وليم دوكاكيس المرشح السابق للرئاسة الأمريكية، وبل كلينتون الرئيس الحالى، خلال حملاتهما الانتخابية، عن عزمهما نقل السفارة الأمريكية إلى القدس والاعتراف بها كعاصمة أبدية لإسرائيل. إن هذا الأمر إن دل على شىء، فإنما يدل على الرغبة الأمريكية الأكيدة فى الاعتراف بالقدس كعاصمة لإسرائيل، ولكن الظروف الدولية والعربية لم تسمح لأمريكا باتخاذ هذه الخطوة فى السابق، ولهذا لجأت أمريكا وإسرائيل إلى تحقيق هذا الهدف على مراحل، كان آخرها ما حدث فى مؤتمر مدريد للسلام، عندما تم استبعاد سكان القدس

من المشاركة فى مفاوضات السلام، وتم أيضاً استبعاد طرح قضية القدس فى إطار المفاوضات بحجة أنه سيتم بحث هذه القضية بعد المرحلة الانتقالية وفى إطار الحل النهائى.

إن هذا التطابق بين التوصيات والقرارات التى اتخذها التيار المسيحى الأصولى فى أمريكا لدعم إسرائيل، وبين ما تم ويتم إنجازه على أرض الواقع، إن دل على شيء فإنما يدل على قوة هذا التيار من ناحية، وعلى تبنى صانعى القرار فى أمريكا لمطالب هذا التيار ـ باعتبارهم جزءاً منه ـ من ناحية أخرى.

وإذا كان معظم صانعى القرار فى أمريكا يحرصون على عدم إظهار خلفياتهم الدينية التى تدفعهم لدعم إسرائيل بصورة علنية، فإن مرد ذلك إلى رغبتهم فى عدم إثارة المشاعر العربية الإسلامية، ولهذا يلجأون إلى اختلاق تبريرات أخرى لتمرير سياستهم المنحازة لإسرائيل، مرة بالحديث عن اللوبى الصهيونى والصوت الانتخابى اليهودى، ومرة بالحديث عن ظروف الحرب الباردة والمصالح الأمريكية وغيرها من الأمور التى أثبتت الأيام عدم صدقها، وكل ذلك من أجل إبقاء آمال الدول العربية معلقة بإمكانية حدوث تغير فى الموقف الأمريكى تبعاً للتغيرات على الساحة الدولية.

الهوامش

١ ـ من أوراق واشنطن ـ د. يوسف الحسن ـ ص ١٢١ .

٢ ـ من يجرؤ على الكلام ـ بول فندلي ـ ص ٣٩٣.

٣ ـ المصدر السابق ـ ص ٣٩٤ وما بعدها.

٤ ـ المصدر السابق ـ ٣٩٥ .

٥ ـ قام جيمي سواجارت هذا، بعمل مناظرة دينية مع أحمد ديدات، وقد قمت بوضع كتاب بعنوان «أحمد ديدات بين القاديانية والإسلام» عن هذه المناظرة وغيرها من المناظرات الأخرى التي أجراها أحمد ديدات، حيث حاولنا توضيح الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها مثل هذه المناظرات.

٦ ـ جريدة الخليج الإماراتية ـ عدد: ٢٩٥٧ .

٧ ـ من يجرؤ على الكلام ـ بول فندلي ـ ص ٣٩٣.

٨ ـ المصدر السابق ـ ص ٤٠٠ .

٩ ـ من أوراق واشنطن ـ يوسف الحسن ـ ص ١٢٨ .

المصدر السابق ـ ص ١٣٠ : ١٣١.

الفصل السادس

النظام الدولى الجديد
ووعــود حــرب الخليج

كلنا عايش أحداث حرب الخليج والتصريحات والوعود التى أطلقتها الإدارة الأمريكية وأعوانها من الزعماء والساسة العرب، عن ولادة نظام عالمى جديد سيتمكن من خلاله العرب والفلسطينيون بالذات، من الحصول على حقوقهم كاملة. وقد جاءت هذه التصريحات والوعود، رداً على مبادرة الرئيس العراقى صدام حسين، الذى طالب بحل القضية الفلسطينية مقابل انسحابه من الكويت.

وقد استهجنت أمريكا وبعض الدول العربية، هذا الطرح من الرئيس العراقى، على اعتبار أنه لا توجد صلة بين المشكلتين، هذا بالرغم من إدراك الذين عارضوا هذه المبادرة، أن الهدف منها كان تعرية الموقف الأمريكى الذى يكيل بمكيالين، والذى عمل على تطبيق قرارات ما يسمى بالشرعية الدولية بحذافيرها على العراق، فى حين أن هناك أكواما من القرارات المتعلقة بالقضية الفلسطينية، مكدسة فى أقبية الأمم المتحدة، والتى عملت أمريكا بالذات على عدم تنفيذها.

وازاء هذا الموقف المحرج الذى تعرضت له السياسة الأمريكية، والذى أظهر بوضوح ازدواجيتها وكيلها بمكيالين، وجد ـ حتى الذين رفضوا المبادرة العراقية وأيدوا الموقف الأمريكى ـ أنفسهم فى موقف لا يحسدون عليه. فكان لابد من تبرير هذه السياسة الفجة التى اتبعتها أمريكا فى حرب الخليج، والتى لم تترك أى مجال للتفاوض وحل المشكلة بالطرق السلمية.

وهنا نشطت الدعاية الأمريكية وأذنابها فى المنطقة العربية، من كتاب وصحفيين وساسة، وأخذوا ينظرون ويبررون ويفلسفون الموقف الأمريكى، الذى جاء حسب تحليلاتهم الخائبة نتيجة لانهيار نظام القطبين، وبزوغ فجر النظام العالمى الجديد.

ولم ينس هؤلاء من تقديم تحليلاتهم الخائبة عن هذا النظام الدولى الجديد. فقالوا:

إن إسرائيل ستفقد فى ظله قيمتها الاستراتيجية التى كانت لها قبل انتهاء الحرب الباردة، وبالتالى فإن أمريكا ـ حسب زعمهم ـ ستعمل جاهدة على حل الصراع العربى الإسرائيلى وفق قرارات الشرعية الدولية، وستمارس ضغوطها من أجل حصول الفلسطينيين على حقوقهم كاملة. وقد كان بعض هؤلاء المحللين، متفائلاً أكثر من اللازم، حيث طرح إمكانية استخدام أمريكا للقوة لتطبيق قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالصراع العربى الإسرائيلى، مثلما فعلت مع العراق الشقيق!!

وقد انطلت هذه الكذبة على كثير من الدول والشعوب العربية، وبالذات التى وقفت موقفاً مؤيداً لأمريكا، حيث تمكنت أمريكا من تنفيذ مخططها بضرب القوة العسكرية العراقية، ليس من أجل الكويت، أو من أجل تطبيق قرارات الشرعية الدولية، بل من أجل حماية مشروعها الصليبى فى المنطقة العربية والمتمثل فى إسرائيل، والذى شعرت بأنه بات مهدداً من القوة العراقية الضخمة والمتطورة.

الدعوة لانعقاد مؤتمر السلام

بعد انتهاء حرب الخليج، سارعت أمريكا إلى الدعوة إلى انعقاد مؤتمر السلام بمدريد، ليس من أجل الوفاء بوعدها الذى قطعته على نفسها أثناء حرب الخليج، أو لحفاظ ماء الوجه لمن هللوا ونظروا وأيدوا موقفها تجاه العراق، بل لاستغلال حالة الضعف والتشتت العربية، لفرض حل للصراع العربى الإسرائيلى وفق تصورها. وفعلاً فقد انعقد المؤتمر بحضور رمزى للاتحاد السوفيتى والمجموعة الأوربية، وبدأت المفاوضات العربية الإسرائيلية، فى حينها، واستمرت أكثر من عام من غير إحراز أى تقدم يذكر، ولم تقم أمريكا باستخدام القوة، أو حتى ممارسة أى ضغط على إسرائيل، لإرغامها على تطبيق قرارات ما يسمى بالشرعية الدولية، بل العكس هو الذى حدث، حيث قدمت الدول العربية كثيراً من التنازلات، فى الوقت الذى لم تقدم فيه إسرائيل أى تنازل يذكر، بل استمرت فى موقفها المتعنت وبدعم كامل من أمريكا، التى عملت بطريقتها الخاصة على تفتيت موقف المفاوض العربى.

النظام الدولى الجديد
سيعزز الانحياز الأمريكى لإسرائيل

إننا نعتقد أن ولادة النظام العالمى الجديد، بعد انهيار المعسكر الشرقى، سيعزز ويزيد من حجم الانحياز الأمريكى لإسرائيل، وليس العكس كما روج لذلك، غالبية محللينا السياسيين.

فلو تأملنا السياسة الأمريكية تجاه المنطقة العربية، فى ظل نظام القطبين، فإننا سنجد أنها كانت تهدف إلى تحقيق هدفين رئيسيين:

الأول: حماية المصالح الأمريكية الكبيرة فى المنطقة العربية، وبالذات المصالح النفطية.

الثانى: تقديم كافة أنواع الدعم الممكن لإسرائيل.

ولكن وجود المعسكر الشرقى وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى، وظهور الأنظمة العربية الثورية على الساحة، كان يجعل من تحقيق هذين الهدفين معاً، أمراً صعباً.

فالمصالح الأمريكية فى المنطقة العربية كان يمكن الحفاظ عليها بسهولة، فى ظل غياب الانحياز الأمريكى لإسرائيل، والعكس صحيح. وقد كانت الإدارات الأمريكية المختلفة تدرك ذلك، وكانت تدرك أيضاً أن انحيازها لإسرائيل سيهدد مصالحها الحيوية فى المنطقة العربية[١] وسيثير المشاعر العربية المعادية لها، وسيدفع كثيراً من الدول العربية إلى تعزيز علاقاتها بالمعسكر الشرقى، وهذا ما لا تريده أمريكا.

إذا كيف استطاعت أمريكا التعامل مع هذه المعضلة الصعبة، أى الحفاظ على مصالحها الحيوية فى المنطقة العربية، وتقديم كافة أنواع الدعم الممكن لإسرائيل، من غير أن يؤدى ذلك إلى تعاظم الدور السوفيتى والمد الثورى القومى فى المنطقة العربية؟

اتبعت السياسة الأمريكية أسلوبين يكمل كل منهما الآخر لحل هذه المعضلة:

فمن ناحية، عمدت السياسة الأمريكية إلى تخويف الدول العربية التقليدية من الخطر الشيوعى الزاحف عليها من الخارج، ومن الخطر الثورى القومى الزاحف عليها من الداخل، وذلك من أجل دفع هذه الدول إلى الارتماء فى الأحضان الأمريكية، باعتبارها القوة الوحيدة القادرة على حمايتها من هذين الخطرين.

ومن الناحية الأخرى، لجأت أمريكا إلى تبرير سياستها المنحازة لإسرائيل، بعوامل متغيرة، بعيدة كل البعد عن العامل الحقيقي ـ الثابت الديني ـ كالقول بأن سبب هذا التحيز يعود إلى ظروف الحرب الباردة، واللوبي الصهيوني وغيرهما من العوامل المتغيرة الأخرى، وكل ذلك من أجل إبقاء آمال الدول العربية معلقة بإمكانية حدوث تغيير في الموقف الأمريكي، تبعاً للتغيرات الدولية.

وقد نجحت أمريكا في تمرير سياستها تلك على الدول العربية. فالدول التقليدية التي تخشى على سلطانها من التطلعات السوفيتية للوصول إلى المياه الدافئة، ومن التطلعات العربية القومية الرامية إلى تحقيق الوحدة العربية، لم تجد أمامها إلا الارتماء في الأحضان الأمريكية، لحمايتها من هذه التطلعات. لهذا قامت هذه الدول بتعزيز علاقاتها مع أمريكا، على حساب موقفها المعلن من القضية الفلسطينية. وانطلاقاً من موقفها الضعيف هذا، لم يكن بمقدورها تهديد المصالح النفطية الأمريكية، كرد فعل على الانحياز الأمريكي لإسرائيل(٢)، وكل ما كان بوسعها عمله هو انتظار اللحظة التي سيتغير فيها الموقف الأمريكي تبعاً للتغيرات الدولية.

أما الدول العربية الثورية، التي تبنت الدور القيادي لمواجهة إسرائيل، فإنها انطلاقاً من فهمها الخاطئ لطبيعة العلاقة الأمريكية الإسرائيلية، سعت إلى تعزيز علاقاتها بدول المعسكر الشرقي، أملاً في إحداث التوازن الكافي للضغط على الموقف الأمريكي المنحاز لإسرائيل. ولكن تجارب الهزائم العربية المتكررة أمام إسرائيل من ناحية، وانخفاض التأثير السوفيتي في الساحة الدولية، من ناحية أخرى، أدى إلى انقسام هذه الدول إلى تيارين مختلفين:

الأول: بحث عن خلاصه الفردي، فأحدث شرخاً كبيراً في صفوف الدول العربية الثورية، وذلك عندما قام بتعزيز علاقاته مع أمريكا، أملاً في استرجاع أراضيه المحتلة، كما فعل السادات في اتفاقيات كامب ديفيد، والذي كان يقول دائماً: إن ٩٩٪ من أوراق اللعبة في يد أمريكا.

أماالتيارالثاني: فإنه ظل متمسكاً بموقفه الثابت تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، وسعى إلى تعزيز هذا الموقف بعد زيارة السادات للقدس من خلال مجموعة دول

الصمود والتصدى، ولكن هذا التيار لم يصمد طويلاً لأسباب كثيرة، يعود بعضها إلى خلافات بين الدول المكونة لهذه المجموعة، ويعود بعضها الآخر إلى أسباب أهمها التحديات الكبيرة التى خلقتها أمريكا وأعوانها أمام دول هذا التيار من أجل تعجيزه وإفشاله، والتى كان آخرها، حرب الخليج، التى وجهت الضربة القاضية لهذا التيار وللنظام العربى كله.

وبانهيار المعسكر الشرقى والنظام العربى بعد حرب الخليج، تحررت أمريكا من كافة القيود التى كانت تحد من تحركها فى ظل نظام القطبين، وأصبحت يدها الآن مطلقة، للتصرف كيفما تشاء تجاه الصراع العربى الإسرائيلى.

فالمؤتمر الدولى للسلام الذى كانت أمريكا ترفض انعقاده فى ظل نظام القطبين، خوفاً من أن يأتى مخالفاً لشروطها، سارعت الآن إلى عقده تحت مسمى جديد، هو مؤتمر مدريد للسلام، لتفرض من خلاله على الدول العربية سلامها الأمريكى بعيداً عن أى تأثيرات خارجية من الاتحاد السوفيتى أو المجموعة الأوربية، وحتى الأمم المتحدة.

والدول العربية التى لم تتمكن أمريكا، فى ظل نظام القطبين، من جرها إلى مفاوضات سلام مع إسرائيل، ها هى الآن تجلس جميعها مع إسرائيل إلى مائدة المفاوضات المتعددة الأطراف والثنائية، ملبية لكافة الشروط والمطالب الأمريكية - الإسرائيلية.

أما الدول العربية التى لم توافق على عملية السلام، فى ظل الرعاية الأمريكية المنفردة لها، فإنها وجدت نفسها معزولة ومحاصرة، إما بقرارات مجلس الأمن الأمريكى، وبإجماع دولى، بتهمة احتضان الإرهاب الدولى وانتهاك حقوق الإنسان، وإما بحملات إعلامية عدائية، ومشاكل حدودية مفتعلة مع جيرانها، لتكون فى أية لحظة ذريعة لتدخل عسكرى أو حصار اقتصادى سيباركه مجلس الأمن الأمريكى، ولو بدعوى التسبب فى تلوث البيئة وثقب الأوزون!

بل كلينتون:

إن تحرر السياسة الأمريكية من ضغوط نظام القطبين، والتى كانت تدفعها إلى اللجوء إلى أساليب مختلفة، لتبرير سياستها المنحازة لإسرائيل، كما أسلفنا، هذا التحرر

ربما يفسر لنا عدم حاجة الرئيس الأمريكى الحالى بل كلينتون، إلى إخفاء مشاعره الدينية تجاه إسرائيل، حيث أعلن خلال حملته الانتخابية عن عزمه، نقل السفارة الأمريكية إلى القدس[٣] وبالطبع لا يمكن فهم هذا الإعلان من قبل كلينتون على أنه جاء لخدمة المصالح الأمريكية فى المنطقة، أو بسبب ضغوط اللوبى الصهيونى وغيرها من الأمور.

فأمريكا ليس لديها أى مصلحة سياسية أو عسكرية أو اقتصادية، من وراء اعترافها بالقدس عاصمة لإسرائيل، بل العكس هو الصحيح. فهذا الإجراء لو حدث، فإنه سيؤدى إلى ردود فعل عنيفة واستياء عام فى الدول العربية والإسلامية، وحتى الدول المسيحية، غير البروتستانتية وعلى رأسها الفاتيكان. فهذه الدول جميعاً لها وجهات نظر مختلفة تجاه الوضع النهائى لمدينة القدس، تختلف كثيراً عن وجهة النظر الإسرائيلية والأمريكية المؤيدة لها.

إذاً لا يمكن فهم هذا الإعلان من قبل كلينتون، إلا بالنظر إلى الخلفية الدينية السائدة فى أمريكا والتى يعتبر كلينتون جزءاً منها. وقد وضح كلينتون نفسه هذه الخلفية التى تدفعه للتعاطف مع إسرائيل، فقد زار كلينتون إسرائيل فى عام ١٩٨١، حيث وصف هذه الزيارة التى تأثر بها كثيراً، بأنها كانت، زيارة دينية أكثر منها سياسية. كما أنه تأثر كثيراً بقصة موت أحد رجال الدين المسيحيين، كان قد مات مؤخراً، وتحدث إليه طويلاً قبل ذلك، حيث قال له هذا القس: «إنه يأمل فى أن يصبح رئيساً للولايات المتحدة، ولكنه قال له أيضاً: إنه يجب عليه أن يحافظ على إسرائيل.... لأنه إذا تخلى عن إسرائيل، فلن يغفر له الله. وعلق كلينتون على ذلك بقوله: أعتقد أنه ينظر إلى الآن ـ يقصد القس ـ وإذا ما انتخبت فلن أتخلى عن إسرائيل[٤].

هكذا يؤكد بل كلينتون كسابقيه من الرؤساء الأمريكيين على الأبعاد الدينية والتوراتية لعلاقته بإسرائيل، حيث إنه لم يبخل منذ توليه الرئاسة فى تقديم كافة أنواع الدعم للدولة اليهودية. فقد قام بزيارتين لإسرائيل، ليؤكد للجميع دعمه وتأييده لها، ومن تابع هاتين الزيارتين، لابد أنه لاحظ مدى مشاعر الحب والود التى يكنها الرئيس بل كلينتون لإسرائيل وأرض إسرائيل. ففى خطابه أمام الكنيست الإسرائيلى خلال زيارته الأولى، كان بل كلينتون يتغنى باليهود وإسرائيل، وبالقيم اليهودية التى منحها

الشعب اليهودى للعالم الحر.. وفى الزيارة الثانية لاحظنا مدى تأثره باغتيال رابين، حيث جاء وطاف حول قبر رابين وكأنه يطوف أمام قبر نبى أو مكان مقدس، ولإظهار هذه القدسية ارتدى القبعة اليهودية، وودع رابين بكلمات عبرية قائلاً: «شالوم حافير» (وداعاً يا صديقى).

كما أن حرص الرئيس كلينتون وإدارته على إسرائيل ومصالحها، بلغ أكثر من حرص الإسرائيليين على أنفسهم، فقد حدث أن أصدر مجلس الأمن الدولى قراراً بإدانة إسرائيل لقيامها بمصادرة مساحات واسعة من الأراضى فى مدينة القدس، فقامت أمريكا باستخدام حق الفيتو ضد القرار، ولكن فى اليوم التالى أجبرت الحكومة الإسرائيلية ـ بعد ضغوط من أعضاء الكنيست العرب ـ على إلغاء هذا القرار، بعد أن هددوا بالتصويت ضد الحكومة فى جلسات الكنيست.

الكونجرس ونقل السفارة الأمريكية إلى القدس!

بادر السيناتور الجمهورى روبرت دول، خلال شهر آيار الماضى بتقديم مذكرة إلى مجلس الشيوخ الأمريكى للمطالبة بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، حيث حظيت هذه المذكرة بتأييد أغلبية كبيرة من الكونجرس بمجلسيه الشيوخ والنواب على أساس أن يتم تنفيذ نقل السفارة الأمريكية إلى القدس عام ١٩٩٩.

وبهذا اتخذ مجلس الشيوخ الأمريكى قراراً ينص على اعتراف رسمى بالقدس عاصمة لإسرائيل وهو قرار يلزم الحكومة الأمريكية بنقل سفارتها إلى القدس فى مدة أقصاها آيار ١٩٩٩. وقد كانت نتائج التصويت على القرار بأغلبية ساحقة، إذ وصلت نسبة المؤيدين فى مجلس الشيوخ إلى ٩٣ فى المئة، أما فى مجلس النواب فكانت لا تقل عنها إلا قليلاً، أى نحو ٩٠ فى المئة.

وبعد صدور هذا القرار، الذى إن دل على شىء فإنما يدل على مدى تغلغل الأفكار الصهيونية فى عقول الصفوة الحاكمة الأمريكية، راهن البعض على إمكانية استخدام الرئيس كلينتون لحق الفيتو، ولكن الرد جاء سريعاً حيث أعلن البيت الأبيض أن الرئيس لن يستخدم هذا الحق. أما مسألة السماح للرئيس بإرجاء تنفيذ القرار لفترات محدودة، إن هو وجد ضرورة لحماية المصالح الأمنية القومية لبلده، والتى مازال يراهن

عليها البعض، فما هى إلا تخدير وتلهية لكل الغاضبين من هذا القرار ليس أكثر، وهى لا تمنع من التنفيذ إطلاقاً، ولن يلجأ إليها الرئيس كلينتون لأنه أثناء حملته الانتخابية وعد أصلاً بنقل السفارة الأمريكية للقدس.

وللأسف فقد خرج علينا غالبية المحللين السياسيين العرب، بتفسيراتهم التقليدية لأسباب صدور هذا القرار، فمنهم من قال: إنه يدخل فى إطار الحملة الانتخابية التى يقوم بها السيناتور روبرت دول لخوض انتخابات الرئاسة، ومنهم من قال: إنه جاء بسبب ضغوط اللوبى الصهيونى، وغير ذلك من الأسباب، هذا بالرغم من أن القسم الثانى من القرار يحتوى ١٧ بنداً توضح سبب صدور القرار، أغلبها بنود مبنية على معلومات توراتية صهيونية صرفة جوهرها أن مدينة القدس مدينة داودية يهودية صهيونية، وتؤكد أن القدس هى المركز الروحى للشعب اليهودى.

وبالرغم من كل ذلك لم يول غالبية محللينا السياسيين هذه البنود أى اهتمام. ولم يسألوا أنفسهم عن السبب الذى جعل القرار يصدر بهذه الأغلبية الساحقة، وعن السبب فى إجماع الديمقراطيين والجمهوريين بهذه الطريقة على هذا القرار، إذا كانت المسألة دعاية انتخابية للجمهورى روبرت دول؟! وإذا كان اللوبى الصهيونى قويا لهذه الدرجة فى الكونجرس الأمريكى، فما معنى الاستمرار فى المراهنة على أمريكا، والحديث الدائم لكثير من الزعماء العرب، عن صداقتها للعرب، والتى لم تستطع منع صدور قرار يمس مشاعر العرب والمسلمين فى كل مكان؟؟!!

فأى شريك لعملية السلام هذا الذى يسمح لنفسه بنسف عملية السلام، من خلال قفزه على التزامات وتعهدات قطعها على نفسه؟!. وهل بقى لأمريكا أى مصداقية بعد صدور هذا القرار؟! وهل بقى لبل كلينتون أى حجة بعد رفضه استخدام الفيتو ضد القرار..

وبالطبع لا، إلا إذا كان البعض مصراً على إغماض عينيه عن الحقيقة الساطعة وهى، أن الإدارة الأمريكية بكامل هيئاتها، والشعب الأمريكى بوجه عام ينظرون إلى علاقتهم بإسرائيل، من منظار دينى بحت، سيكون له أكبر الأثر على الصراع العربى الإسرائيلى وبالذات فى ظل النظام العالمى الجديد بكل سلبياته على المنطقة العربية.

إن النظام العالمى الجديد الذى استبشر به كثير من العرب وظنوا أنه سيعيد لهم حقوقهم المسلوبة، وسينشر الأمن والسلام فى المنطقة لم يمهلهم طويلاً، حيث بدأت ملامحه تطفو على السطح، وتصيبهم بنفس المرارة وخيبة الأمل التى أصابتهم مراراً فى العصر الحديث من خلال تجاربهم الطويلة والفاشلة مع كل من الحكومتين البريطانية والأمريكية. وسيعلم العرب أن النظام العالمى الجديد لن يهدأ له بال إلا بعد أن يتوج جهوده الكبيرة فى خدمة إسرائيل بجعل الاعتراف بالقدس عاصمة أبدية لإسرائيل، أمراً واقعاً ومقبولاً دولياً وعربياً وإسلامياً، لتكون عاصمة للنظام العالمى الجديد، حيث سيحكم المسيح ويبدأ عصر الألف عام السعيد، كما يقولون وكما يخططون؟!

الهوامش

١ ـ العلاقات العربية الأمريكية والضغط الصهيونى ـ أندرو كارفلى ـ ترجمة أسعد حليم ـ ص ٤.

٢ ـ الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية ـ د. محمد شديد ـ ترجمة كوكب الريس ـ ص ٢٤٣ : ٢٤٤.

٣ ـ جريدة القدس ـ العدد : ٨٣٤٢ ـ الخميس ٢٤ ـ ١٢ ـ ١٩٩٢.

٤ ـ جريدة القدس ـ العدد : ٨٣٢٩ ـ السبت ٧ ـ ١١ ـ ١٩٩٢.

الفصل السابع

أسباب فشل السياسة العربية

إن الفشل الأساسى لكل المخططات العربية التى وضعت لمواجهة إسرائيل منذ وعد بلفور وحتى الآن، يعود فى الأساس، إلى عدم قدرة هذه المخططات على التعرف على معنى وطبيعة العلاقة بين إسرائيل وكل من بريطانيا وأمريكا، و بالتالى لم تستطع أى من هذه المخططات فهم الأبعاد العميقة لهذه العلاقة، وجعلت التعامل معها منطلقاً من فهم سطحى مبتور، بعيد عن حقائقه الأساسية، مرة بإرجاعه إلى ظروف الحرب الباردة ونفوذ اللوبى الصهيونى، وأخرى إلى المطامع الاستعمارية والصوت الانتخابى اليهودى. إن الخطأ فى فهم طبيعة العلاقة بين إسرائيل والقوى العظمى المؤيدة لها، ترتب عليه أخطاء كبيرة فى التعامل معها.. .. واتخاذ العلاج الخاطئ للأمور المصيرية، لا ينتج عنه إلاأخطاء فادحة على كافة المستويات . ويكفينا تأمل الثمن الباهظ- المادى والمعنوى- الذى دفعته وما زالت تدفعه أمتنا العربية، نتيجة لهذا الفهم الخاطئ.

فالموقف الأمريكى المنحاز لإسرائيل، لا يمكن فهمه فى حقيقته، كضغط إسرائيلى على أمريكا، بل على أمريكا هى بنت الحضارة الإسرائيلية ومؤخرتها، والأرضية التى تمدها بكل أسباب الوجود والاستمرار. وستظل كذلك رغماً عن أنف كل واضعى السياسة الخارجية العربية ومستشاريهم من ذوى الأدمغة الفارغة، إلا من قصاصات النيوزويك، ودير شبيجل، والتايم، هذا إن كانوا يقرأون[١]

الحملة الصليبية الثامنة!

فى ٢ ديسمبر ١٩١٧ أى بعد صدور وعد بلفور بشهر واحد. ألقى الزعيم الصهيونى إسرائيل زانغويل، خطاباً، وصف فيه المحاولات البريطانية والأمريكية، الرامية إلى إعاد اليهود إلى أرض فلسطين بقوله:

«سبع حملات صليبية إلى الأرض المقدسة، عادت على اليهود بالمذابح،فهل ستؤدى الصليبية الثامنة إلى استرجاع اليهود لفلسطين؟ وإذا كانت صليبية حقة، فإن تلك الحقيقة بالذات تأتى بمثابة البرهان على النظام الجديد لعالم تسوده المحبة والعدالة»[٢]

ولم ينس زانغويل فى هذا الخطاب، أن يكمل صورة النظام الجديد الذى توقع ميلاده فى ظل الحملة الصليبية الثامنة، حيث أشار إلى ضرورة طرد العرب من أرض فلسطين ليتسنى إحلال اليهود مكانهم، لإقامة الوطن القومى اليهودى. كما تمنى فى هذا الخطاب أن يكتمل هذا العمل عن طريق جعل مدينة القدس مقراً لعصبة الأمم، بدلاً من لاهاى المفلسة، ليتسنى جمع الحلمين العبرانيين، الأكبر والأصغر، ودمجهما فى حلم واحد ، ولتصبح العاصمة العبرانية- ملتقى الديانات العالمية الثلاث- مركزاً ورمزاً للعصر الجديد فى الحال(٣)

هكذا وضح الزعيم الصهيونى إسرائيل زانغويل، منذ٧٥ عاماً تقريباً، طبيعة المعركة التى تخوضها كل من بريطانيا وأمريكا ضد أمتنا العربية والإسلامية، ولا أعرف أين كان واضعو السياسة الخارجية العربية ومستشاريهم من هذه الحقيقة ومن الحقائق الكثيرة التى عرضناها فى سياق هذا البحث؟ بل أين كانوا عندما كتب حاييم وايزمان فى مذكراته، مخاطباً بنى قومه ،قائلاً: «تحسبون أن لورد بلفور كان يحابينا عندما منحنا الوعد بإنشاء وطن قومى لنا فى فلسطين ؟......... كلا، إن الرجل كان يستجيب لعاطفة دينية يتجاوب بها مع تعاليم العهد القديم»

وندع وايزمان وبلفور ونتدبر تصريحات مستر كارتر ، ومن بعده ومن كان قبله! إنهم جميعاً يتحدثون عن أرض الميعاد وعن نبوءات التوراة والحدود التى رسمتها.

فالمشاعر الدينية الفاترة فى العقل الباطن والظاهر، هى التى جعلت جنرال، جيرو ، يقول فى دمشق أمام قبر صلاح الدين: هانحن عدنا يا صلاح الدين! وهى نفسها التى جعلت مارشال، اللنبى، يدخل القدس فى الحرب العالمية الأولى ويقول: الآن انتهت الحروب الصليبية! (٤)

وقد علق الداعية الإسلامى محمد الغزالى على هذه الحقائق بقوله: « يظهر أن العالم كله شديد الإحساس بعقائده وآماله الدينية، إلا قومنا وحدهم ، فإنهم يتذاكرون بينهم أن الدين رجعية!!..... إن قضية بيت المقدس وفلسطين منذ فجر التاريخ إلى قيام الساعة قضية دينية عند أصحاب الرسالات السماوية جميعاً، فكيف يتجرأ البعض إلى جعلها قضية قومية أو اقتصادية؟

فالمسلمون يرون المسجد الأقصى، يذكر فى سياق واحد مع المسجد الحرام والمسجد النبوى ويرون الدفاع عنه جزءاً من الإيمان ،ويعرفون جهود اليهود لهدمه وإقامة الهيكل فوقه! ويعدون هذه الجهود جريمة ضد الإسلام والألف مليون مسلم الذين يعتنقونه ! فكيف يتجاهل هذا؟ والنصارى يرون بيت المقدس قبلتهم وبه قبر المسيح........ واليهود يرون أن هذه الأرض منحها الله لإبراهيم الخليل وذريته من بعده، وزعموا أنهم الذرية المعنية........

فإذا كان الدين وراء كل دعوى، فكيف جاء من أسموا أنفسهم، العروبيين ، وجردوا العرب من ردائهم الإسلامى، و أغروهم بجعل القضية صراعاً جنسياً أو نزاعاً إمبريالياً وغير ذلك من الأوصاف المكذوبة»(٥)

إن التاريخ لم يسجل خطأ أبشع من انخداع المسلمين بخطة أعدائهم، بزحزحة قضية فلسطين عن إطارها الإسلامى إلى دوائر ومتاهات الوطنية والقومية والمذهبية وغيرها من دعاوى الجاهلية، التى فصلت القضية عن قوتها المؤثرة الحاسمة، وتاهت فى ضباب كثيف، ساقها إلى النكسات، ثم المساومات، ثم استجداء الصلح الذليل.

لقد كان أعداؤنا على وعى كامل بحقيقة الخطر الإسلامى منذ البداية، وقد علموا ذلك حين لم يستطيعوا التقدم خطوة واحدة تجاه فلسطين فى ظل الخلافة الإسلامية رغم ضعفها، لأن القضية كانت فى وضعها الصحيح ، دينية إسلامية.

إن الزحف الصليبى الجديد لا يوقفه إلا الإسلام، بإن نرد القضية إلى خطها الأصيل، وأن نعود بالمعركة إلى امتدادها الإسلامى ، وأن نرغم الجاهلية على الانسحاب من قيادة المسلمين، ليقودنا القرآن العظيم فى معركة المصير وصراع الوجود.

فالرؤية الدينية للصراع فى فلسطين تتأتى على أن تكون غاية حركتها مطلباً فى وطن وحسب، ولكنها تنفذ من دائرة الحق الشرعى للمسلمين فى الوطن الفلسطينى إلى دائرة المواجهة الوجودية بين لحظة مغلقة وحركة انتماء للمطلق الحر. فالصراع فى فلسطين برؤية دينية إنما هو مواجهة حاسمة بين انتماءين للإنسان، لاشك أن النصر فيهما حليف لمقولة الحرية والكرامة، والهزيمة محتومة لقوى الشر والفساد والعدوان، بصورتها المكثفة فى الدولة الإسرائيلية.

فقد انتهت تطورات التاريخ إلى تأهيل الوطن الفلسطينى مرة أخرى ليكون ساحة الصراع بين الضلال الإنسانى مكثفاً فى الدولة الإسرائيلية وبين حركة جهاد إسلامى تستأنف المسار الإنسانى تحت راية الهداية الالهية."

الهوامش

١ – العالمية الإسلامية الثانية– محمد أبو القاسم حاج حمد– ص٢٦٨ .

٢– إسرائيل الكبرى–د. أسعد رزوق – ص٤٠٧ .

٣– المصدر السابق– ص٤٠٦ .

٤– مائة سؤال عن الإسلام– الجزء الثانى– الشيخ محمد الغزالى– ص٢٢٧

٥– المصدر السابق– ص٢٢٩ .

٦– رؤية دينية للدولة الإسرائيلية– محمد حسن مى ص٩

ملحق خاص
عقيدة الارماجيدون أو معركة مجدو *

لأهمية هذه المعركة فى الفكر المسيحى البروتستانتى ، وجدنا أنه من الفائدة اطلاع القارئ عليها، كما وردت فى كتاب (**قبل أن يهدم الأقصى**) ، **لمؤلفه الاستاذ/ عبدالعزيز مصطفى.**

وأهمية ذلك تنبع من كون غالبية اتباع التيار المسيحى الاصولى فى امريكا يؤمنون بقرب حدوث هذه المعركة، ويترقبون ساعة وقوعها ، باعتبارها الحدث الذى سيظهر من خلاله المسيح، ليقضى على قوى الشر- كما يزعمون- التى تحارب اليهود، حيث بعدها يدخل اليهود الذى تبقوا على قيد الحياة فى الديانة المسيحية، ويبدأ العصر الألفى السعيد، حيث يحكم المسيح العالم من مقره فى القدس ؟!

والمسيحيون البروتستانت لا يؤمنون فقط بقرب وقوع هذه المعركة، بل إنهم على استعداد للمبادرة بإخراج احداثها وصنعها، لتأكيد مزاعمهم.وأخطر ما فى الأمر هو أن هذا الايمان لا يقتصر على طبقة الناس البسطاء، بل وصل إلى اعلى مستويات صناع القرار فى امريكا، كما حدث مع الرئيس رونالد ريجان الذى كان يعتقد عندما رشح نفسه للانتخابات الامريكية بأن المسيح يأخذ بيده ليقود معركة« هرمجدون» ، وهذا يعنى أنه كان على استعداد فى أى لحظه لخوض غمار حرب عالمية نووية، معتقداً أنه بذلك ينفذ تخطيطاً إلهياً مقدرا سلفاً.

يقول عبد العزيز مصطفى فى كتابه قبل أن يهدم الأقصى:.

من العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى، الاعتقاد بمجئ يوم يحدث فيه صدام بين قوى الخير وقوى الشر، فهناك ٨٥ مليون أمريكى يعتقدون بأن حديث الإنجيل عن تدمير الأرض بالنار يعنى أن الأرض ستدمر فى حرب نووية فاصلة لا مفر منها.

ومن العجيب أن رجال الدين النصارى من المبشرين وغيرهم يذكون فى المسيحيين هذا الاعتقاد ويحيونه ، متبعين فى ذلك اليهود أحياناً، ومستقلين بالاعتقاد أحياناً آخرى.

ولقد جنى هؤلاء المبشرون الكثير من الفوائد والمغانم من وراء زرع الشعور بدنو يوم القيامة فى الناس، ولاشك أن الحديث عن غيبيات ستحدث وربطها بغيبيات حدثت يجذب الانتباه بقوة، ويجلب بإلحاح وشدة نظر من يوجه إليه الحديث، فالخوف من المجهول وترقب المنتظر أمر طبيعى فى مكنون النفس البشرية.

ولم يقتصر رجالهم فى استغلال تلك المشاعر، وراحوا يؤججون نيران الحماسة فى الناس للمساهمة فى صنع الأحداث الجسام التى ستسبق مجئ اليوم الآخر. ومن تلك الأحداث طبعاً عودة اليهود إلى فلسطين واستيلاؤهم على القدس، وهدمهم للأقصى وابتناؤهم للهيكل ومن ثم انتظارهم لمجئ المسيح وحدوث المعركة الفاصلة بين قوى الخير وقوى الشر، أو ما يعرف بمعركة (مجدو) أو (الهرمجدون).

و(مجدو) التى تنسب إليها تلك المعركة هى أرض فى فلسطين يسميها اليهود والنصارى بهذا الاسم، وهى تبعد ٥٥ ميلاً عن تل أبيب، وهى فى موقع يبعد٢٠ ميلاً جنوب شرق حيفا، على بعد١٥ ميلاً من شاطئ المتوسط.

وترتبط فى الاعتقاد القديم بأنها الأرض التى كان الفاتحون القدامى يعتقدون أن أى قائد يسيطر عليها يمكنه أن يصمد أمام الغزاة، ويعتقد اليهود ومن تبعهم فى ذلك من النصارى.. أن جيشاً من مائتى مليون جندى يأتون إلى (مجدو) لخوض حرب نهائية..

أما عن علاقة هذا اليوم بقضية الأرض المقدسة وبناء الهيكل ومجئ المسيح فإن النصارى الإنجيليين يعتقدون بأنه لن يكون هناك سلام حقيقى فى الشرق الأوسط ولا فى العالم إلى أن يأتى المنتظر الموعود ، ويجلس المسيح على عرش داود فى القدس ويحارب أعداء إسرائيل. والمبشرون والقسس من أمثال (جيرى فالويل) و(هال لندزى) و(بات روبنرتسون) والمسيحيون اليمنيون الآخرون، يعتقدون بأن الإنجيل فيه نبوءة تدل على العودة الوشيكة للمسيح بعد فترة حرب نووية وكوارث طبيعية ، وانهيار اقتصادى وفوضى اجتماعية، وإنهم يعتقدون بأن هذه الأشياء لابد أن تحدث قبل المجئ الثانى للمسيح ويعتقدون بأن هذه الأشياء بينة بوضوح فى الإنجيل.

وفى الحقيقة أن هذا الاعتقاد أصله فى التوراة التى عند اليهود. والنصارى تبعوهم فيه وجاءت الإشارة إليه فى التوراة فى سفر حزقيال. فعن قدوم قوى الخير تقول التوراة:

«بعد أيام كثيرة تفتقد في السنين الأخيرة تأتي إلى الأرض المستردة من السيف المجموعة من شعوب كثيرة على جبال إسرائيل التي كانت خربة للذين أخرجوا من الشعوب آمنين كلهم ، وتصعد وتأتي كزوبعة،وتكون كسحابة تغشى الأرض، أنت وكل جيوشك وشعوب كثيرون معك ».

وتتحدث التوراة عن أوصاف ذلك اليوم:

«ويكون في ذلك اليوم يوم مجيء جوج على أرض إسرائيل يقول الرب إن غضبي يصعد وغيرتي في نار سخطي، تكلمت أنه في ذلك اليوم يكون رعش عظيم في إسرائيل، فترعش أمامي سمك البحر وطيور السماء ووحوش الحقل، والدبابات التي تدب على الأرض، وكل الناس الذين على وجه الأرض، وتندك الجبال، و تسقط المعاقل، وتسقط كل الأسوار إلى الأرض، واستدعى السيف عليه في كل جبالي. يقول السيد الرب: فيكون سيف كل واحد على أخيه ، وأعاقبه بالوباء وبالدم وأمطر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطراً جارفاً وحجارة برد عظيم وناراً وكبريتاً..» (١)

وفي سفر حزقيال أيضاً الأمر لحزقيال بأن يوجه الكلام إلى قوم يأجوج ومأجوج: «وأنت يابن آدم تنبأ على يأجوج وقل: هكذا قال السيد الرب: هأنذا عليك يأجوج رئيس روش ماشاك وتوبال، وأردك وأقودك وأصعدك من أقاصي الشمال، وآتي بك على جبال إسرائيل، وأضرب قوسك من يدك اليسرى وأسقط سهامك من يدك اليمنى، فتسقط على جبال إسرائيل أنت وكل جيشك والشعوب الذين معك، أبذلك مأكلاً للطيور الكاسرة من كل نوع ولوحوش الحقل ، على وجه الحقل تسقط لأني تكلمت. يقول السيد الرب: وأرسل ناراً على مأجوج وعلى الساكنين في الجزائر آمنين، فيعلمون أني أنا الرب» (٢)

وتحدث التلمود أيضاً عن معركة الهر مجدون وجاء فيه:

«قبل أن يحكم اليهود نهائياً لابد من قيام حرب بين الأمم يهلك خلالها ثلثا العالم، ويبقى اليهود سبع سنوات يحرقون الأسلحة التي اكتسبوها بعد النصر، وحينئذ تنبت أسنان أعداء بني إسرائيل بمقدار اثنين وعشرين ذراعاً خارج أفواههم ..!!»

« إننا نقرأ فى شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقرية كى نكون قادرين على القيام بهذا العمل، إن كان فى معسكر أعدائنا عبقرى فقد يحاربنا ولكن القادم الجديد لن يكون كفؤاً إلا لأيد عريقة كأيدينا.. إن القتال المتأخر بيننا سيكون ذا طبيعة مقهورة لم ير العالم مثيلاً لها من قبل ، والوقت متأخر بالنسبة إلى عباقرتهم» (٣)

ولكن أصحاب هذا الاعتقاد يفسرون هذه النبوءات بتطبيقها على وقائع ومسميات، فيعتقدون أن المعسكر الشرقى قوة شريرة وأن هذه القوة الشريرة ستقدم يوماً على حرب ضد قوى الخير ممثلة فى إسرائيل وأشياعها من دول العالم النصرانى، وهم يضمون المسلمين إلى جانب قوى الشر.

ومن الطريف أنهم يسمون دولاً بعينها ويجعلونها فى مصاف القوى الشريرة التى ستشهد معركة مجدو- منها ليبيا وأثيوبيا!! (٤)

ومن العجب أيضاً أن الحديث عن (الهر مجدون)يتداول على نطاق واسع، وعلى أعلى المستويات وفى أدق القضايا العالمية وأخطرها. قال المبشر(جيمى سواجارت) فى برنامج تليفزيونى أذيع فى ٢٢ سبتمبر ١٩٨٥«يجب ألا نتوصل إلى إتفاقات مع الإتحاد السوفيتى.. إن معركة (هرمجدون) مقبلة، ستقع هذه المعركة فى سهل مجدو.. إنها مقبلة، فى وسعهم أن يوقعوا كل معاهدات السلام التى يريدون.. كلها لن تحل.. ومشكلات أوروبا لن تحل ، بل ستصبح أسوأ.. حتى يأتى المسيح المخلص»

وينظم هذا المبشر رحلات دورية إلى الأرض المقدسة، يطوف فيها بالمسيحيين الإنجيليين فى أنحاء القدس شارحاً لهم كيف ومتى ستحدث الأحداث العظام فى هذه المناطق.

وقد قام(جيرى فالويل) برحلة إلى فلسطين عام١٩٨٣ أصطحب فيها٦٣٠مسيحيا استقلوا الطائرة من نيويورك إلى تل أبيب وذهبوا إلى (مجدو) مكان المعركة المنتظرة.

وقال(جيرى فالويل) فى خطبة ألقاها يوم٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٤ معلقاً على اقتباس من سفر الرؤيا، ومشيراً إلى معركة مجدو:« إن هذه الكلمة (مجدو) تنزل الخوف فى صدور الناس، سيحدث اشتباك أخير، وسيدمر الخالق هذا الكون

«وقال:» وبالرغم من التوقعات الوردية وغير الواقعية من جانب حكومتنا بشأن اتفاقات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل، فإن هذه المعاهدة لن تدوم طويلاً«ثم قال:» من المؤكد أننا نصلى من أجل سلام القدس، ومن المؤكد أننا نكن الاحترام لمن وقعا اتفاقية السلام إننى أعلم وأنتم تعلمون أنه لن يكون هناك سلام حقيقى فى الشرق الأوسط إلى أن يجلس المسيح يوماً على عرش داود فى القدس» (٥)

وهناك قس آخر وهو (بيلى جريهام) يركز فى دعوته على أن يوم مجدو على المشارف، و قد حذر عام ١٩٧٠ من أن العالم يتحرك بسرعة نحو معركة مجدو، و أن الجيل الحالى قد يكون آخرجيل فى التاريخ ،وقال أن أكبر معركة فى التاريخ ستقع فى هذا الجزء من العالم (الشرق الأوسط).

ويقول المبشر(أوين) :« إن إرهابيين يهوداً سينسفون المكان الإسلامى مما يرغم المسيح المنتظر على التدخل، إن اليهود يعتقدون أن قدومه سيكون الأول، ونحن المسيحيين نعلم بأن هذه ستكون الثانية؟، نعم لابد بالتأكيد من أن يكون هيكل يهودى ثالث»

وعندما سئل (القس ديلتش):« إذا نجح اليهود الذين تؤيدهم ودمروا قبة الصخرة والمسجد الأقصى فأدى ذلك إلى اشتعال نيران الحرب العالمية الثالثة، فهل تعتبر نفسك من المسئولين عن ذلك؟ أجاب قائلاً: كلا.. لأن ماسيفعله أولئك اليهود هو إرادة الله»

وكما أسلفت، فإن الاعتقاد فى معركة مجدو وأنها وشيكة الوقوع قد سيطر على قطاع عريض من النصارى ومنهم أشخاص اعتلوا أعلى كراسى المسئولية فى العالم، ومن هؤلاء الرئيس الأمريكى (رونالد ريجان)، يقول الأمريكى (اندرولانج) مدير الأبحاث فى معهد الدراسات المسيحية ومقيم بواشنطن« لقد أجريت دراسة عميقة عن ريجان والاعتقاد بمجدو، ووجدت أن ريجان قد نشأ على ذات نظام المعتقدات التى نشأ عليها كل من (كلايد، وجيرى فالويل، وجيمى سواجارت) ومبشرين آخرين، وإن لدى ريجان اعتقادا بهذا اليوم على الأقل إلى وقت قريب من توليه الرئاسة»

وقد عقد لانج مؤتمراً صحفياً نظمه معهد الدراسات المسيحية، وقال فى

المؤتمر:«إننى وآخرين من المعهد أردنا التحقق فى أمر ريجان وأيدلوجية مجدو بالنظر إلى إمكانية أن يعتقد رئيس ما- شخصياً- بأن الله قد قدر سلفاً حرباً نووية،هى إمكانية تثير عدداً من الأسئلة المخيفة،فهل سيؤمن رئيس معتقد بهذه الإمكانية التفاوض على نزع السلاح حقاً؟ وهل سيكون إذا وقعت أزمة نووية واعياً ومتعقلاً؟ أم أنه سيكون تواقاً للضغط على زر ما شاعراً بذلك أنه يحقق تخطيط الله المقدر سلفاً لنهاية الزمن؟!!»

وفى الحقيقة فإن رونالد ريجان نفسه يشير إلى عواطفه الدينية المبكرة، إذ قال فى مقابلة تليفزيونية مع المبشر جيم بيكر عام١٩٨٠ :«كنت محظوظاً لأن أمى غرست فى إيماناً عظيماً أكثر بكثير مما أدرك فى ذلك الحين»

وقال فى تصريح علنى آخر: « إن الكتاب المقدس يضم كل الإجابات على قضايا العصر، وعلى كل الأسئلة الحائرة إذا ما قرأنا وآمنا، إن الأموال التى ننفقها فى محاربة المخدرات والمسكرات والأمراض الاجتماعية يمكن توفيرها لو حاولنا جميعاً أن نعيش وفق الوصايا العشر.. لقد أخبرونى أنه منذ بداية الحضارة سنت ملايين القوانين، ولكنها جميعاً لم تصل إلى مستوى قانون الله فى الوصايا العشر»

ويعارض ريجان بباعث من معتقده الدينى مسألة الفصل بين الدين والسياسة التى يتبجح كثير من حكام المسلمين بالتغنى بها.. يقول«لا يوجد شيء اسمه الفصل بين الدين والسياسة، وإن القائلين بهذا الفصل لا يفهمون القيم التى قام عليها المجتمع الأمريكى» (٦)

والمقربون من ريجان يؤكدون بأن اعتقاده بقرب مجدو أكيد وقوى. تقول الكاتبة (جريس هالسيل):

يروى (جيمس ملز) الذى كان رئيساً لمجلس شيوخ ولاية كاليفورنيا-ضمن مقالة نشرتها له مجلة (سان رييجو ماجازين) فى أغسطس ١٩٨٥أن ريجان سأله أثناء مأدبة حضرها، عما إذا كان قد قرأ الفصلين (٣٨.٣٩) من (حزقيال)، فأكد ملز لريجان أنه قد قرأ بالفعل وناقش فقرات حزقيال التى تتحدث عن يأجوج ومأجوج،

وعندئذ تحدث ريجان بحرارة عن تحول ليبيا إلى الشيوعية، وأصر على أن هذا علامة تدل على أن يوم معركة مجدو ليس ببعيد (لأن تحول هذه الدولة إلى الشيوعية يجعلها من القوى الشريرة التى ستنضم مع الجيش الشرقى الكبير ضد إسرائيل).

ثم قام (ملز) بتذكير ريجان بأن حزقيال قال أيضاً إن الحبشة ستكون بين القوى الشريرة، فقال ريجان:«إننى أوافق أن كل شيء لم يأخذ مكانه بعد ، و لكن لم يبق الا حدوث هذا الشيء فقط،إذ يجب أن يسيطر الحمر على أثيوبيا!»

وعندما قال ملز: إنه لا يعتقد أن هذا أمر مرجح، قال ريحان: «اعتقد بأن هذا أمر لا مفر منه، إنه ضرورى لتحقيق النبوءة القائلة بأنه أثيوبيا ستكون من الأمم الكافرة التى ستقف ضد إسرائيل».

ويبدو أن ريجان قد ذهب بعيداً فى إيقانه من أن المسألة أصبحت مسألة وقت بالنسبة لمجئ اليوم فهو يعتقد أن لا عقبات هناك تحول بين ذلك اليوم وبين حدوثه، قال ريجان لملز« إن كل النبوءات الأخرى التى تعين تحقيقها قبل معركة مجدو قد حدثت والفصل ٣٨من حزقيال يقول: إن الله سيأخذ بنى إسرائيل من وسط الكفار حيث سيكونون مشتتين، ثم سيلم شملهم مرة أخرى فى أرض الميعاد. وقد حدث هذا بعد قرابة ألفى سنة، ولأول مرة فى التاريخ فإن كل شىء مهيأ لمعركة مجدو، والمجئ الثانى للمسيح»

وهناك قرائن تدل على أن ريجان ظل متحفظاً باعتقاده فى معركة مجدو حتى ركب سدة الحكم فى أكبر دولة فى العالم وأقواها.

فعندما رشح نفسه للرئاسة عام١٩٨٠م أدلى رونالد ريجان بتعليق عن نهاية العالم أثار انتباه المعلقين السياسيين حتى قال أحد المعلقين فى صحيفة (نيويوك تايمز) (وليام سافير) إن ريجان كان يخاطب حينئذ مجموعة من زعماء اليهود وقال لهم:«إن إسرائيل هى الدولة الوحيدة التى نستطيع الاعتماد عليها كبقعة ستحدث فيها معركة مجدو»

وفى أكتوبر (تشرين) ١٩٨٣م كشف ريجان النقاب عن أن معركة مجدو ليست فقط عقيدة لا تزال تسكن قلبه، بل إنها لاتزال تشغل باله.فقد اتصل هاتفياً مع(توم داين) من اللجنة المركزية الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة، التى هى أقوى مجموعة ضغط قوية لإسرائيل، وقال داين : إن ريجان قال له« أتدرى..؟ إننى أعود إلى انبيائكم القدامى فى العهد القديم، وإلى الدلائل التى تنبئ بمجدو وأجدنى أتساءل عما إذا كان الجيل الذى سيشهد ذلك.. لا أدرى إن كنت لاحظت أياً من هذه التنبوءات فى الأزمنة الأخيرة..ولكن صدقنى إنها تصف بالتأكيد الزمن الذى نعيشه»

والرئيس الأمريكى لم يكن يخفى توجهاته الدينية الدفينة قبل وبعد تولى الرئاسة، وهو بعد أن نجح فى انتخابات الرئاسة التى جاءت به لمقعد الحكم لبس القبعة اليهودية المعروفة، وألقى خطاباً فى مؤتمر يهودى، كدليل التزامه بالصهيونية وولائه المطلق لليهود.

كتب (جيمس ملز) فى مقالته التى نشرتها مجلة(سان بيجو ماجازين) فى أغسطس(آب) ١٩٨٥ ..«إن ريجان كرئيس أظهر التزاماً بالاضطلاع بواجباته وفقاً لإرادة الله، كما يجب أن يفعل كل مؤمن فى منصب رفيع، وأن ريجان شعر بذلك الالتزام خصوصاً فى سعيه إلى بناء الجبروت العسكرى للولايات المتحدة وحلفائها»

ولا يخفى على أحد أن ريجان جاء إلى الحكم بعد أن كانت دعايته تتركز على إعادة الهيبة إلى الدولة الأمريكية، التى تمرغت سمعتها فى الوحل بعد عمليةحجز الرهائن الأمريكيين فى عهد كارتر.

وعموماً فإن الحديث عن مجدو فى الأوساط المسيحية واليهودية لا يفوت هؤلاء وأولئك عندما يحدث أى حدث غير عادى على أرض الواقع حيث يربطون ما حدث بما سيحدث ويرجعون هذا وذاك إلى ما حدث بالأمس..........وفى عام ١٩٨٣نظم المبشر(جيرى فالويل) رحلة فلسطين لإطلاع المسيحيين على الأماكن المقدسة هناك وخصوصاً الأماكن اليهودية التى تتعلق بالعقائد التوراتية، وهناك نظم لقاءات مع قادة

سياسيين ودينيين فى إسرائيل، ونظم لهم لقاء مع موشى أرينز وزير الدفاع الإسرائيلى آنذاك،(وهو كان فى السابق سفيراً لإسرائيل فى أمريكا، وولد فى أمريكا)، وحدثهم أرينز فى ذلك اللقاء فقال: «إن غزو لبنان١٩٨٢ كان بإرادة إلهية، فهى حرب مقدسة، مستمدة من العهد القديم، وهذا يؤكد النبوءة إذ أن هذا الغزو يمكن أن يعنى أن معركة مجدو قد اقتربت.

تم بحمد الله

الهوامش*

١- سفر حزقيال- الاصحاح الثامن والثلاثون

٢- سفر حزقيال- الاصحاح التاسع والثلاثون

٣- بروتو كولات حكماء صهيون - ترجمة محمد خليفة التونسي- البروتوكول الخامس- ص١٢٣

٤- المبشرون البروتستانت والنية القاتلة

٥- المصدر السابق

٦- الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي- اسماعيل الكيلاني- ص١١(مكتبة الاقصى- قطر)

* المصادر كما وردت فى كتاب قبل أن يهدم الأقصى للاستاذ/ عبد العزيز مصطفى

المراجع

١-الولايات المتحدة وإسرائيل- برنارد ريتش- ترجمة مصطفى كمال

٢- العدوان الإسرائيلى القديم، والعدوان الإسرائيلى الحديث على فلسطين - محمد عزة دروزة

٣-مقارنة الأديان والاستشراق- د. أحمد شلبى- مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية

٤- قصة الديانات-سليمان مظهر

٥- المسيحية-د. أحمد شلبى

٦-جذور البلاء- عبد الله التل

٧- الماسونية فى العراء- محمد على الزعبى

٨- القضية الفلسطينية والخطر الصهيونى- مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عام١٩٧٣

٩- فلسطين،القضية- الشعب- الحضارة- بيان نويض الحوت

١٠- الصهيونية غير اليهودية - د.ريجينا الشريف- سلسلة عالم المعرفه

١١- الصهيونية والصراع الطبقى-د. صادق جلال العظم

١٢- أزمة الفكر الصهيونى- د. محمدربيع

١٣- الشخصية اليهودية فى الأدب الإنجليزى- د. هانى الراهب.

١٤- إفلاس النظرية الصهيونية- نصر شمالى.

١٥- الاستعمار وفلسطين - رفيق النتشة.

١٦ تيودور هرتزل عراب الحركة الصهيونية- مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

١٧- إسرائيل الكبرى، دراسة فى الفكر التوسعى الصهيونى- د.أسعد رزوق

١٨- قبل أن يهدم الأقصى- عبد العزيز مصطفى.

١٩- التجربة والخطأ- مذكرات حاييم وايزمان- ترجمة محمد الشهابى.

٢٠- فلسطين فى ضوء الحق والعدل- هنرى شن- ترجمة وديع فلسطين.

٢١- الأيديولوجية الصهيونية - عبدالوهاب المسيرى.

٢٢- الثورة العربية الكبرى فى فلسطين -١٩٣٦-١٩٣٩(الرواية الإسرائيلية الرسمية) مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

٢٣- يوميات موشى ديان - كلود جوليان- ترجمة ناجى أبو خليل.

٢٥- من أوراق واشنطن- د. يوسف الحسن.

٢٦- اليهودى العالمى-هنرى فودر- تعريب/ خيرى حماد.

٢٧- الاتصالات السرية - محمود عباس.

٢٨- الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية - د.محمد شديد -ترجمة كوكب الريس.

٢٩-المؤامرة الكبرى ، اغتيال فلسطين- أميل الغورى.

٣٠- الاستعماروفلسطين- رفيق النتشة.

٣١- الصهيونية العالمية- جمال الدين الرماوى.

٣٢- إنى أتهم - روجيه ديلورم - ترجمة نخله كلاس.

٣٣- الناصرية - عبد الله إمام.

٣٤- اندماج - يوسف الحسن.

٣٥- عقد من القرارات - وليم . ب كوانت - ترجمة عبد الكريم ناصيف.

٣٦- صحيفة الأنوار اللبنانية العدد- ٢٦٧٧-.

٣٧ الولايات المتحدة والدول العربية-أ.أ.اوسيبوف- ترجمة محمود شفيق الشعبان.

٣٨-. التحدى الصهيونى- جاك دومال- ترجمة نزيه الحكيم.

٣٩- خيارات صعبة - مذكرات سايروس فانس.

٤٠- مجلة المستقبل-عدد ٧٣٣- السنة الرابعة- تاريخ١٦-٣-١٩٨٣ .

٤١- لماذا ننشد الأفضل- جيمى كارتر.

٤٢- المسيخ الدجال- سعيد أيوب.

٤٣-ريجان الرجل والرئيس- تأليف مجموعة من الصحفيين الأمريكيين.

٤٤- من يجرؤ على الكلام- بول فندلى.

٤٥- العالمية الإسلامية الثانية - محمد أبو القاسم حاج حمد.

٤٦- مائة سؤال عن الإسلام- الجزء الثانى- الشيخ محمد الغزالى.

٤٧- الماسونية فى المنطقة ٢٤٥- أبو إسلام أحمد عبد الله.

٤٨- رؤية دينية للدولة الإسرائيلية- محمد حسن مى.

المؤلف فى سطور

* الاسم: يوسف العاصى الطويل

* تاريخ الميلاد ١٩٥٩/٤/١٦ مدينة رفح

* حصل على ليسانس فلسفة عام ١٩٨٣ من جامعة عين شمس + دبلوم دراسات عليا ١٩٨٦+ دورة لمدة عام فى الصحافة والإعلام والعلاقات العامة + دورات أخرى.

* عضو بالاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين/ فرع الامارت منذ عام ١٩٨٧.

* له العديد من الكتابات والدراسات التى نشرت فى الصحافة العربية والمحلية، وصدر له كتاب بعنوان« أحمد ديدات بين القاديانية والاسلام» ونشر فى دولة الامارات العربية ، وإن شاء الله سيصدر له قريباً الكتاب الثالث بعنوان «الأصولية المسيحية والصحوة الإسلامية».

يعمل الآن فى مديرية الدفاع المدنى كمسئول قسم الإعلام والتوجيه والارشاد، ومدير تحرير مجلة السلامة الفلسطينية.

هذا الكتاب

* في ٢ ديسمبر١٩١٧، أى بعد صدور وعد بلفور بشهر واحد، ألقى الزعيم الصهيونى إسرائيل زانغويل، خطابا، وصف فيه المحاولات البريطانية والأمريكية، الرامية إلى إعادة اليهود إلى أرض فلسطين بقوله: «سبع حملات صليبية إلى الأرض المقدسة عادت على اليهود بالمذابح، فهل ستؤدى الصليبية الثامنة إلى استرجاع اليهود لفلسطين؟ وإذا كانت صليبية حقة، فإن تلك الحقيقة بالذات تأتى بمثابة البرهان على النظام الجديد لعالم تسوده المحبة والعدالة».

* يقول وايزمان فى كتابه التجربة والخطأ: «للقارئ أن يسأل، ماهى أسباب حماسة الإنجليز لمساعدة اليهود وشدة عطفهم على آمانى اليهود فى فلسطين؟ والجواب على ذلك أن الإنجليز ـ لاسيما من كان منهم من المدرسة القديمة ـ هم أشد الناس تأثرا بالتوراة. وتدين الإنجليز هو الذى يساعدنا فى تحقيق آمالنا، لأن الإنجليزى المتدين يؤمن بما جاء فى التوراة من وجوب عودة اليهود إلى فلسطين. وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية فى هذه الناحية أكبر المساعدات».

* أن الفشل الأساسى لكل المخططات العربية التى وضعت لمواجهة إسرائيل منذ وعد بلفور وحتى الآن، يعود فى الأساس، إلى عدم قدرة هذه المخططات على التعرف على معنى وطبيعة العلاقة بين إسرائيل وكل من بريطانيا وأمريكيا، وبالتالى لم تستطع أى من هذه المخططات فهم الأبعاد العميقة لهذه العلاقة، وجعلت التعامل معها منطلقا من فهم سطحى مبتور، بعيدا عن حقائقه الأساسية، مرة بإرجاعه إلى ظروف الحرب الباردة ونفوذ اللوبى الصهيونى، وأخرى إلى المطامع الاستعمارية والصوت الانتخابى اليهودى.

* إن التاريخ لم يسجل خطأ أبشع من انخداع المسلمين بخطة أعدائهم، بزحزحة قضية فلسطين عن إطارها الإسلامى إلى دوائر ومتاهات الوطنية والقومية والمذهبية وغيرها من الدعاوى، التى فصلت القضية عن قوتها المؤثرة الحاسمة، وتاهت فى ضباب كثيف، ساقها إلى النكسات، ثم المساومات، ثم استجداء الصلح الذليل. فقد كان أعداؤنا على وعى كامل بحقيقة الخطر الإسلامى منذ البداية، وقد علموا ذلك حين لم يستطيعوا التقدم خطوة واحدة تجاه فلسطين فى ظل الخلافة الإسلامية رغم ضعفها، لأن القضية كانت فى وضعها الصحيح، دينية إسلامية.